

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

الميدان: العلوم الإنسانية والاجتماعية

الشعبة: العلوم الإسلامية

التخصص: العقيدة الإسلامية



كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

العلاقة بين الإيمان ووحدة الأمة كتاب «أصول
الإيمان التوحيد ووحدة الأمة» نموذجاً
- دراسة تحليلية نقدية -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: العقيدة الإسلامية

تحت إشراف:

الدكتورة: الزهرة لحلح

من إعداد الطالب:

العنق الحاج سليمان

السنة الجامعية

1444 - 1445 هـ / 2022 - 2023 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى والديّ العزيزين أبي الغالي وأمّي الحنون . ربّ ارحمهما كما ربّيتني صغيراً .

إلى عائلتي الصغيرة إخوتي وأخواتي أفلح ولين وعائلتيهما وتوفيق وعائشة وسارة وأمّ رقية وأمّ عبد السلام . رحمها الله .

إلى أحسن صحبة رزقني الله بها رفقاء درب التعليم وأخصّ بالذكر أخي وصديقي رفيق درب القرآن صالح أحمد مردوخ، وكذلك ورفيق دربي في الجامعة جابر حفار وهو أول من اقترح عليّ عنوان هذا البحث

إلى كلّ من له عليّ فضل في تنشئتي وتربيتي وتعليمي وتكويني، من مدارس ومؤسسات وأساتذة، وأخصّ بالذكر مدرسة الرضوان القرآنية بالقليلة، وعلى رأسها الأستاذ توفيق بوسعدة والأستاذ محمد بن عبد الله

إلى كلّ من يحمل همّ أمّته، ويحترق لما يُلَمّ بها من آلام، وعلى يد هؤلاء تُعقد الآمال .

إلى كلّ هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل

شكروعرفان

✚ لربي الذي أعَدق عليّ من فضله وأسبغ عليّ نعمه ظاهرة وباطنة ووفقني وأعانني واستجاب دعائي لك

الحمد والشكر يا رب

✚ للأستاذة المشرفة على هذا البحث، الدكتورة الزهرة لحلح التي تقبّلت موضوع البحث الذي اقترحتّه بصدر

رحب، بدلا من الموضوع الذي وضعته لجنة التكوين، كما أنّها لم تبخل عليّ بنصائحها وتوجيهاتها، فلها مني

خالص التقدير والاحترام

✚ للأستاذين الدكتور مُحمَّد بابا عمّي والدكتور مصطفى وينتن، فالبحث يتعلّق بكاتبهما اللذين اشتركا في

تأليفه، فأما الدكتور مُحمَّد بابا عمّي فعلى تشجيعه لتحليل ونقد كتابه ولم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائح،

وأما الدكتور مصطفى وينتن، فلم يبخل عليّ بتزويده بالمراجع اللازمة، فلهما عليّ جزيل الشكر والتقدير

✚ للجنة المشرفة التي قبلت مناقشة هذا البحث، نقدا وتحليلا، وتصحيحا، لهم مني فائق التقدير والاحترام

✚ للأستاذة صليحة بوالبردة وكذلك الطالبة الأخت رشا طاهر، اللذين كان لهما عليّ فضل كبير بعد الله عزّ

وجلّ للعودة إلى مقاعد الدراسة بعد أن كنت على وشك الانقطاع، جعل الله عملهما ثقلا في ميزان

حسناتهما

✚ للصديقين الباحثين مُحمَّد هيبه، وكذلك الأخ مصطفى بوشن اللذين لم يبخلا عليّ بنصائحهما وتوجيهاتهما،

فيما يتعلّق بالجانب المنهجي والتقني للبحث، فبارك الله فيهما وسدّد خطاهما ووفقهما في مسيرتهما العلمية.

✚ لمؤسسة جمعية التراث بالقرارة - غرداية - التي فتحت لنا أبوابها، بمعتكف الباحثين، وما يحويه هذا المركز من

خدمات وتسهيلات، وتوفير للكتب والمراجع، وفقهم الله وسدّد وبارك خطواتهم.

✚ لجميع إطار كلية أصول الدين وقسم العقيدة ومقارنة الأديان، أساتذة وإداريين كلّ باسمه ووسمه

المقدمة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لقد تعددت المقاربات المعرفية وتنوعت المدخلات والمخرجات التي تناولت موضوع وحدة الأمة الإسلامية، ذلك أن ما كرّسته السياسات عبر التاريخ خلف لنا تراثا معرفيا كبيرا، خاصة بما يتعلّق بالعتيدة وعلم الكلام، فتتج ما يسمى بالمذاهب والفرق الإسلامية وما رسمته من خطوط وحواجز عريضة شكّلت جزرا معرفية بينها صعبت من إمكانية قيام أي حوار بينها، واليوم تتطلّع الأمة لتأسيس منظومة معرفية رشيدة صادقة تزيل هذه الحواجز، وتضع مكانها جسورا للتواصل بين هذه الجزر، وتهب للأمة أدوات منهجية جديدة بغية وعي الذات وفهم الآخر، وتحاول هذه الدراسة أن تتناول واحدا من هذه المقاربات تحليلا ونقدا، وهو كتاب أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة، من تأليف الأستاذين الدكتور محمد بابا عمي والدكتور مصطفى وينتن.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث عند النظر إلى القيم الكبرى التي أتى بها هذا الدين الحنيف من معاني الوحدة والأخوة ونبد النزاع والفرقة والتفتت والتشتت والتشردم بين المسلمين، وفي المقابل ما كرّسه التراث العقدي والكلامي في شقّه السلبي من تكفير وتكفير مضاد، أهدر الكثير من الطاقة الفكرية داخل البيت الإسلامي، وكان من بين أهم أسباب نشر الفرقة بين المسلمين، وتمزيق وحدة صفّه، وخدم بذلك الخصم الخارجي والعدو الحقيقي للمسلمين، وما نفع المنتصر الداخلي أبدا على أخيه المسلم، لذلك أصبح من الواجب على الأمة أن تعيد غربلة هذا التراث ونقده والبحث عن أدوات ومقاربات بديلة، وقراءات ثانية، لتنقيته من الصّدأ الذي علق به، والذي لا يزال يتجرّعه المسلم إلى يومنا هذا.

أسباب اختيار الموضوع:

ذاتية: وجودي في بيئة تتسم بالاختلاف المذهبي (إباضية ومالكية) والتنوّع العرقي (عرب وبربر)، وما حدث فيها من أحداث بين الطرفين، وآخرها أحداث فتنة غرداية سنة 2015، وما تركته في نفسي من حزن عميق وجرح دفين إثر وفاة أحد أقاربي في هذه الفتنة - ابن عمي رحمه الله - وبغض النظر عن أسباب هذه الفتنة هل هي

سياسية أم اقتصادية، اجتماعية أم دينية، داخلية أم بأيادي خارجية، فإني لا أزال تأثها حائرا متسائلا عما حدث؟ وما الذي جرى؟ هل نحن مسلمون حقاً؟ هل الذي يُقْتَل يعدّ مسلماً؟ والذي يُقْتَل هو مسلم كذلك؟ هذا الحدث الذي عشته في حياتي جعلني أعيش بصدق هاجس وحدة الأمة.

موضوعية: الأسباب الموضوعية ليست منفصلة تمام الانفصال عن الأسباب الذاتية، ذلك أنّ اهتمامي بمقاربات وحدة الأمة، والتقريب بين المذاهب الإسلامية، ناشئ عن السبب الذاتي الذي عشته، وكذلك اهتمامي وتأثري بكتابات المفكر الدكتور محمد بابا عَمِّي، والذي يكتب في مجالات الفكر والحضارة، فقد وجدت في هذا الكتاب مادة معرفية تصلح لهذه الدراسة.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى:

- عرض مقارنة من مقاربات توحيد الأمة الإسلامية تحليلاً ونقداً
- عرض مشروع من المشاريع الفكرية التي تحاول مقارنة أزمة الحضارة والتخلف في عالم المسلمين (نموذج الرشد)، في إطار الحديث والتعريف بالكاتب والكتاب، بغية عرضه للباحثين والأكاديميين للتعرف عليه والاستفادة منه، وهذا له علاقة بموضوعنا من حيث أن الفرقة بين المسلمين هو مظهر من مظاهر التخلف.
- محاولة تفكيك أهم العقبات التي تعيق جهود وحدة الأمة (الأصول المذهبية - حديث الفرقة الناجية ...).
- مساءلة المنهج الذي يعرض متون العقيدة وعلم الكلام والاستفادة في ذلك من جهود بعض أعلام الفكر الإسلامي المعاصر (مالك بن نبي وعبد الوهاب المسيري).
- إبراز الشروط الواجب توفّرها في تدريس العقيدة الإسلامية، بما يخدم وحدة الأمة مع مراعاة المراحل والفئات العمرية.

إشكالية البحث:

ينطلق البحث من إشكالية رئيسية وهي: ماهي المقاربة التي أتى بها الكتاب للتوحيد بين الأمة الإسلامية؟، وما مدى اتساقها منهجياً؟ وتتفرّع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية:

- هل نقصد بالتوحيد إلغاء المذاهب؟
- كيف يمكن أن نفك شفرة العلاقة بين أصول الدين وأصول المذهب؟
- كيف يمكن أن نقرأ حديث الفرقة الناجية والذي يشكل أهم عقبة في سبيل وحدة الأمة بما يخدم وحدة الأمة؟
- ما هي شروط تدريس العقيدة في ما يخدم وحدة الأمة، في مستوى المحتوى والمضمون؟ وفي مستوى من يتولى تدريس هذا المحتوى؟

الدراسات السابقة:

الدراسات والمقاربات التي عالجت موضوع الوحدة الإسلامية كثيرة والتي اعتمدت عليها هي:

- رسالة أكاديمية موسومة بعنوان **الوحدة العقدية وأثرها في تماسك المجتمع الجزائري** وهي أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة الحاج لخضر بباتنة، للباحث مُجّد طَبّاخ، وقد عالج في هذه الأطروحة مقارنة الكتاب الذي نحن بصدد تحليله
- كتاب **القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية** نشرته دار السلام للطباعة والنشر بمصر للدكتور مُجّد نعيم مُجّد هاني ساعي، حاول أن يحصر فيه جملة من القوانين والقواعد التي تضبط عملية توحيد الأمة
- كتاب **السبيل إلى وحدة الفرق الإسلامية** نشره مكتبة الضامري للنشر والتوزيع بعمان من تأليف الأستاذ الدكتور فرحات الجعبري، قام فيه بتحليل كتاب الملل والنحل للشهرستاني، وقدم جملة من النصائح التي توطّر عملية البحث العلمي
- كتاب **أصول الدين الإسلامي** نشرته مطابع بيروت الحديثة بלבنا، من تأليف الدكتور رشدي عليان وكذلك الأستاذ الدكتور قحطان بن عبد الرحمن الدوري، تناول في جزء منه إشكالية العلاقة بين الأصل الديني والأصل المذهبي.
- وحتى يكون الباحث ملّماً بأهم الفرق الإسلامية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وإلى يوم الناس هذا استعنت بكتاب **المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين**، نشرته الشبكة العربية للأبحاث والنشر بלבنا، من تأليف الدكتور مُجّد سليم العوا.

منهج البحث:

بما أنّ هذا البحث هو دراسة كتاب فإن المنهج الطاعني والبارز فيه هو المنهج التحليلي، وكذلك استعملت المنهج النقدي في نقد المقاربة التي أتى بها الكتاب.

وأثناء التحليل تعرّضنا لبعض مصادر علم الكلام فاستعملت في ذلك المنهج الاستقرائي في تتبع هذه المصادر والمنهج الانتقائي في البحث عن المتون العقدية التي تخدم غرض بحثنا والمنهج النقدي في نقدها.

واستعملنا أيضا في هذا البحث المنهج التوثيقي عندما استعنت ببعض الجهود الفكرية لمساءلة المنهج في علم الكلام والعقيدة، فقد أخذت كتاب وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبي وكتاب اللغة والمجاز لعبد الوهاب المسيري واستعملنا المنهج التوثيقي كذلك عند الحديث عن شروط تدريس العقيدة فيما يخدم وحدة الأمة وأتينا بنموذج مقرر مادة الحياة الإيمانية لمرحلة المتوسط بمدرسة الحياة بالقرارة - غرداية -

منهجية البحث:

- عزوت الآيات إلى مواضعها بذكر السّورة ورقم الآية وذلك في المتن
- خرّجت الأحاديث من مصادرها الأصلية، بعزوها إلى الكتاب وصاحبه والباب والرّقم
- التزمت في توثيق النصوص بالترتيب الآتي: ذكر اسم المؤلّف ثمّ المؤلّف ثمّ تفاصيل النشر ثم تاريخ الطبع إن وجد ثم عدد الطبعة إن وجد، ورقم الجزء إن وجد، ثم رقم الصفحة، وذلك باستعمال الرموز (ط / ج / ص)، أمّا بالنسبة لتوثيق المعلومات المأخوذة من مواقع إلكترونية، فقد التزمت بالترتيب الآتي: الموقع، تاريخ الدخول، توقيت الدخول، وإن كان هذا المحتوى الإلكتروني صورا متحرّكة (فيديوهات) ذكرت الدقيقة والثانية التي تُذكر فيها المعلومة التي اقتبسناها
- إذا نقلت كلاما نقلا حرفيا أو بتصرّف وضعته بين علامتي تنصيص أي: المزدوجين
- الأعلام المذكورين الذين ترجمت لهم في هذا البحث، الدكتور مُحمّد بابا عمي والدكتور مصطفى وينتن باعتبارهما مؤلّفا الكتاب الذي درسناه، كما أوردت ترجمة للمفكرين مالك بن نبي وعبد الوهاب المسيري، الذين خصصت لهما فرعين خاصين في هذا البحث.

خطة البحث:

في إطار الجواب عن الإشكالية المطروحة قسمت بحثي إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

■ المقدمة: عرضت فيها تمهيدا للموضوع مع بيان أهميته وأسباب اختياره، مع ذكر للمنهجية والخطة المتبعة

■ الفصل الأول: مدخل تمهيدي وفيه ثلاث مباحث:

— المبحث الأول: تعريف مفردات العنوان

— المبحث الثاني: ترجمة للمؤلفين

— المبحث الثالث: التعريف بالمؤلف

■ الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة: ويحتوي على مبحثين:

— المبحث الأول: توحيد الأمة من خلال توحيد أصول الإيمان

— المبحث الثاني: حديث الفرقة الناجية

■ الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة: ويحتوي على مبحثين:

— المبحث الأول: أهمية الدرس العقدي في توحيد الأمة

— المبحث الثاني: شروط تحقيق وحدة الأمة من خلال الدرس العقدي

خاتمة: ذكرت فيه نتائج وتوصيات البحث.

الفصل الأول: مدخل تمهيدي

ويحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف مفردات العنوان

المبحث الثاني: ترجمة للمؤلفين

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف

الفصل الأول: مدخل تعريفي

قبلولوج في تفاصيل موضوعنا جدير بنا أن نصدر بحثنا هذا بمدخل تمهيدي والذي سنتناول فيه تعريفاً بسيطاً لمفردات العنوان تعريفاً إفرادياً ثم مركباً، وترجمة للمؤلفين، وتعريفاً بالكتاب الذي نحن بصدد تحليله.

المبحث الأول: تعريف مفردات العنوان

وسنكتفي بتعريف مفردتي الإيمان ووحدة الأمة باعتبارهما المدار الذي يدور حولهما موضوعنا

المطلب الأول: تعريف الإيمان

الفرع الأول: التعريف اللغوي

مشتق من مادة (أمن) ومنه: الأمان والأمانة .. والأمن: ضد الحوف، أمن، كفرح، أماناً وأماناً، بفتحهما، وأماناً وأمانةً، محركاتين، وإماناً، بالكسر، فهو أمنٌ وأمينٌ، كفرح وأمير¹

والأمانة: ضد الحيانة والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يُقال: آمنَ به قومٌ وكذبَ به قومٌ، والإيمان ضد الكفر²، والإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة

ومن مشتقاتها كذلك الأمانة «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى الْأَحْزَابِ 72» ، أي: الفرائض المفروضة، أو النية التي يعتقدها فيما يُظهره باللسان من الإيمان، ويُؤدّيه من جميع الفرائض في الظاهر، لأنَّ الله تعالى ائتمنته عليها، ولم يُظهرها لأحدٍ من خلقه. فَمَنْ أَضْمَرَ مِنَ التَّوْحِيدِ مِثْلَ مَا أَظْهَرَ، فقد أدّى الأمانة»³.

¹. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص 1176

². ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ، ج 13/ص 21

³. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص 1176

الفصل الأول: مدخل تعريفي

الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي

الإيمان أو العقيدة هي أسماء لمسمى واحد والعقيدة هي مجموعة من قضايا الحقّ البديهية المسلّمة بالعقل، والسمع، والفترة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً¹

وجاء في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: «الإيمان يستعمل تارة اسماً للشيعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام وعلى ذلك ﴿الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ {المائدة 69} ويوصف به كلّ من دخل في شريعته مقراً بالله ونبوّته، قيل وعلى هذا قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ {يوسف 106} وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحقّ على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ {الحديد 19} ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح إيمان ... وجعل النبي ﷺ أصل الإيمان ستة أشياء في خبر جبريل حيث سأله ما الإيمان، والخبر معروف²

وجاء في تفسير الطبري الآية 14 من سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِثْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أنها نزلت في أعراب من بني أسد ... واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهؤلاء الأعراب: قولوا أسلمنا، ولا تقولوا آمنا، فقال بعضهم: إنما أمر النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم، ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم، فقيل لهم: قولوا أسلمنا، لأن الإسلام قول، والإيمان قول وعمل³.

¹ أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية، سنة 1978، ط 02 / ص 21

² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 27، أما الخبر الذي ذكره فهو الحديث

المعروف حديث جبريل عليه السلام الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وستأتي الإشارة إلى هذا الحديث لاحقاً

³ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ط 1/ ج 20/ ص 313

الفصل الأول: مدخل تعريفي

المطلب الثاني: تعريف وحدة الأمة

الفرع الأول: التعريف اللغوي

الوحدة من (وحد) والواو والحاء والdal أصل واحد يدلّ على الانفراد¹، والرجل الوحيد ذو الوحدة، وهو المنفرد لا أنيس معه، وقد وَحَدَ يَوْحُدُ وَحَادَةً وَوَحْدَةً وَوَحْدًا. والواحد بُنيَ عَلَى انْقِطَاعِ النَّظِيرِ وَعَوَزِ الْمَثَلِ، والوحيد بُنيَ عَلَى الْوَحْدَةِ وَالْإِنْفِرَادِ عَنِ الْأَصْحَابِ مِنْ طَرِيقِ بَيِّنُونَتِهِ عَنْهُمْ² والتَّوْحِيدُ: الإيمانُ بالله وحده لا شريك له، والله الواحدُ الأخذُ ذو التَّوْحِيدِ والوَحدانيَّةِ³، ومنه الاتحاد وهو تصوير الذاتين واحدا وهو امتزاج الشيعين واختلاطهما حتى تصوير شيئا واحدا⁴. هذا من الناحية اللغوية لمفردة الوحدة

أما الأمة: من الأمّ، بِالْفَتْحِ ... الْأُمَّةُ الْقَصْدُ الطَّرِيقَةُ وَالِدَيْنِ. يُقَالُ: فَلَانٌ لَا أُمَّةَ لَهُ أَي لَا دِينَ لَهُ وَلَا نَحْلَةَ لَهُ⁵ قَالَ الْحَلِيلُ: الْأُمَّةُ: الدِّينُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ {الزخرف: 22} . وَحَكَى أَبُو زَيْدٍ: لَا أُمَّةَ لَهُ، أَي: لَا دِينَ لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ: «يُبْعَثُ أُمَّةٌ وَحْدَهُ» . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينٍ حَقِّ مُحَالِفٍ لِسَائِرِ الْأَدْيَانِ فَهُوَ أُمَّةٌ. وَكُلُّ قَوْمٍ نُسِبُوا إِلَى شَيْءٍ وَأُضِيفُوا إِلَيْهِ فَهُمْ أُمَّةٌ، وَكُلُّ جِيلٍ مِنَ النَّاسِ أُمَّةٌ عَلَى حِدَةٍ ... وَقِيلَ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ {النحل: 120} ، أَي: إِمَامًا يُهْتَدَى بِهِ، وَهُوَ سَبَبُ الْاجْتِمَاعِ. وَقَدْ تَكُونُ الْأُمَّةُ جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ {آل عمران 104}⁶.

الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي

جاء في تفسير الشيخ بيوض رحمه الله - للآية 92 من سورة الأنبياء -، أن الأمة يُعنى بها جميع أهل الأرض وليس معنى الأمة هنا قوم جمعهم زمان، وعاشوا فترة من فترات التاريخ، إنما الأمة بمعنى عام، وهذا بعد أن ذكرت

¹ . أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، 1399هـ - 1979م. ج6/ص90

² . ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص 448

³ . أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج3/281

⁴ . علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، ص 06

⁵ . ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج12/ص24

⁶ . أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج1/ص27

الفصل الأول: مدخل تعريفي

السورة سيرة بعض الأنبياء والرسل، قبل هذه الآية، فجميع الأنبياء جاؤوا برسالة واحدة، وهي رسالة العبودية لله وحده، صحيح أنهم أتوا بشرائع مختلفة من طقوس وعبادات ومعاملات، لكن أصول الدين وقواعده وأساسه التي بشروا بها واحدة، وكأن الله تعالى يقول كونوا كما كان هؤلاء الرسل في الالتزام بهذه الأصول وهي الإيمان بالله وربوبيته وألوهيته وأزليته، ثم الإيمان بالوحي الذي ينزله الله تعالى على رسله من البشر، ثم الإيمان بهؤلاء الرسل هداة مهديين، وبالكتاب المنزلة عليهم والإيمان بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ثم الإيمان باليوم الآخر والرجوع إلى الله، وأن الخلق كله سيفنى، فيقول في تفسيره: «فالواجب على أهل الأرض أن يكونوا أمة واحدة يدينون بالعبودية لله تعالى ويخلصون له العبادة، ولا يدعون أحدا غيره، لكن ماذا كان منهم يا ترى؟، قال الله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ {الأنبياء 93}، أردناهم أن يكونوا أمة واحدة ولكنهم تقطَّعوا أمرهم بينهم، قسّموا أنفسهم قطعا وجماعات وطوائف، ومذاهب، وأحزابا، وفرقا، وكانوا شيعة.»¹

وهو نفس المعنى الذي يتبناه الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي - وهو المعروف بنزعته الإنسانية العالمية وحثّه على الحوار بين الأديان والحضارات - فهو يرى أن الإسلام ليس ديناً جديداً ولد مع نبوة محمد ﷺ وإنما هي نقطة وإعادة إحياء للرسالة التي بُعث بها الأنبياء السابقون وبالتالي فهو يستبعد كل تفسير ذاتي يدّعي قصر الأمة على أصحاب محمد ﷺ²، ويستشهد بالآيات التي تدلّ على الوحدة المصدرية لهذه الرسالات منها قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة 136}

أمّا في تفسير الزمخشري للآية 92 من سورة الأنبياء ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ الأمة: الملة، وهذه إشارة إلى ملة الإسلام، أى: إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون³

¹. إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورتي الأنبياء والحج، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث. القرارة. غرداية،

1997، ج4/ص 200-207

². روجيه جارودي، الإسلام، ترجمة: وجيه أسعد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ANEP، الجزائر، 2001، ط2/ص 19-20-21

³. أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ، ط3/ج3/ص 134

الفصل الأول: مدخل تعريفي

بينما يرى لؤي صافي - بعد أن استعان بالمدلول اللغوي لجذر كلمة أمة من الأم أي القصد، وهو المعنى المشترك في كلّ الدلالات اللغوية التي تُستعمل مرادفا للأمة (الجنس - الجيل - الطريقة - الدين - الشرعة... إلخ)، وبعد أن تتبّع هذا المعنى في القرآن الكريم من خلال المواضع التي استعملت كلمة الأمة - أنّ «الأمة في المنظور القرآني تجمع عقدي قيمى ناجم عن تفاعل أفراد من البشر مع مبادئ كلية وقيم عامة تتجاوز الخصوصيات الطبيعية التي تمايز بين الناس من لون أو عرق أو لغة أو إقليم»¹

وتتجلى هذه الوحدة في ثلاث أقسام أو مظاهر: وحدة قلبية ووحدة اعتقادية ووحدة سياسية²

1. فأما القلبية: فهي تلك الأخوة الإيمانية وذلك الشعور الذي ينبثق عن قلوب المؤمنين المتوآدين المتحابين في الله

2. وأما الاعتقادية: فهي اجتماع المسلمين واتحادهم على أصول دينهم مما أجمع عليه المسلمون في عقيدة أو شريعة، والعمل بمقتضى هذا

3. أما السياسية فهي اجتماع الأمة مهما تعددت أنحاءها وأقطارها في دولة واحدة وتحت خلافة واحدة

ولكي تتحقّق الوحدتين القلبية والسياسية يجب أولاً أن تتحقّق الوحدة الاعتقادية لأنها هي الأصل وهي التي تبنى عليها الأقسام الأخرى، ومنها تتجلى المظاهر الأخرى وهذا القسم هو الذي سنتناوله في دراستنا.

المطلب الثالث: التركيب بين التعريفين

كما أوردنا في التعريف اللغوي أن الإيمان مشتق من الأمن والأمان وهو ضدّ الخوف، ومما تعنيه السكينة والرضا، ومما يحقّق هذا الأمن إحلال الوئام والود والإخاء وهو ما يتفق مع ما أورده د. مُحمّد نعيم هاني ساعي في أحد مظاهر الوحدة وهي الوحدة القلبية أو الأخوة الإيمانية التي تنبثق عن قلوب المؤمنين المتوآدين المتحابين في الله، على اختلاف فرقهم ومذاهبهم، ولكي تتحقّق هذه الوحدة القلبية يجب تحديد الوحدة الاعتقادية وهي اتفاق المسلمين على أصولهم الاعتقادية.

¹. لؤي صافي، العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996م،

ط01/ ص97

². مُحمّد نعيم مُحمّد هاني ساعي، القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، دار السلام، 2007، ط1/ ص12

الفصل الأول: مدخل تعريفي

وكما جاء في التعريفات للجرجاني أن من مشتقات الوحدة (الاتحاد) وهو تصوير الذاتين واحدا وهو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى تصوير شيئا واحدا، هذا التعريف اللغوي يمكن أن نطبقه على موضوعنا هذا، من حيث أنّ عملية الاتحاد أو التوحيد تكون بين عناصر مختلفة ومتباينة لتصييرها عنصرا واحدا، فكذلك عملنا في هذا الموضوع المساهمة في توحيد الفرق الإسلامية ومذاهبها تحت مسمى الإسلام والمسلمون.

كذلك ما جاء في تعريف ابن منظور في لسانه العربي، من مشتقات مادة (وحد) «الوحيد ما بني على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من طريق بينوته عنهم»، فهذا التعريف اللغوي نسقطه في بحثنا من حيث أن توحيد الفرق الإسلامية يستلزم تمييزها ومغايرتها عن الفرق المنحرفة والضالة، فضلا عن الملل والديانات الأخرى وهذا ما يستدعي ضرورة تحديد منهجية لهذه العملية، فهناك فرق تحسب على الإسلام، لكن تحوي من الأمور ما لا يمكن قبوله أبدا، فهل نعني بتوحيد الأمة أن كل من يدّعي انتسابه للإسلام، ندرجه ضمن أمة الإسلام، أكيد لا، فكما أن لفظة توحيد تقتضي جمع شتات و أشياء متنافرة، كذلك تقتضي ضمن ما تقتضيه تمييز هذه الوحدة المركبة عن عناصر أخرى ليس من ضمنها.

وكما جاء في تفسير الإمام الطبري أن الإيمان قول وعمل فهذا يستلزم منا أن نجعل قضية وحدة الأمة الإسلامية أم القضايا ومحور اهتمامنا نعمل عليه، ولا نسمح لداء الفرقة أن تنتشر بيننا، ونزعم بأن هذا البحث - إن شاء الله - لبنة في طريق هذا العمل.

ومما جاء كذلك في تعريف الأمة الواحدة ما أورده الشيخ بيوض رحمه الله في تفسيره من أنّ الأمة المقصود بها في الآية ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ {الأنبياء 92} جميع أهل الأرض وجميع البشر لأن الرسالة التي أرسلها الله إلى رسله كافة، هي رسالة التوحيد والإيمان والعبودية لله، لكن الشرائع تختلف باختلاف الأنبياء واختلاف ظروفهم، وآخر هذه الشرائع شريعة محمد ﷺ الذي أرسل إلى الناس كافة، فرسالته امتداد لما جاء به من قبله، والأديان الموجودة في الأرض الآن غير الإسلام، خاصة الأديان الكتابية، هي ديانات انحرفت عن هذا الصراط الذي رسمها لها الله وهو صراط جميع الأنبياء والرسل أجمعين. لذلك يجب أن يرتفع سقف وأفق الحوار بين البشر، صحيح أن هذه الدراسة تُعنى بتوحيد الفرق الإسلامية بدرجة أولى لكن القرآن واضح في التقرير والحث على الحوار والبحث عن المشترك مع الملل الأخرى وهذا المشترك هو التوحيد بطبيعة الحال ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً

الفصل الأول: مدخل تعريفي

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٣٠﴾ {آل عمران}، فرسالة الإسلام رسالة عالمية، لكن كيف يتأتى هذا ونحن . أي حاملو هذه الرسالة . مشتتين مفرقين بيننا، كل فرقة تدعي الصواب والنجاة لنفسها دون غيرها. فالأولى إصلاح الداخل أولاً، ثم ربط جسور التواصل والحوار مع الخارج.

وهذه المذاهب أو الفرق الإسلامية نشأت بسبب التفاعل بين الأحداث التاريخية (سياسية واجتماعية واقتصادية...) مع النص المصدري (قرآن وسنة)، ومع مرور الزمن تشكّلت الفرق الإسلامية والمذاهب الكلامية بمتونها العقدية، وهذه المتون العقدية مع عدم اتضاح ما هو من الأصول وما هو من الفروع، واختلاط الدوائر بينهما، جرّاً الأتباع على استسهال تكفير وتفسيق وتضليل بعضها البعض، مما أجهض ومزّق هذه الوحدة المرجوة.

«وهذا أمر لا ينبغي لهذه الأمة أيام عزها وسلطانها ووحدتها، فكيف يستمره البعض في أيامنا هذه أيام الذلة والضيعة والتفكك والتشردم، والواجب على العلماء أن لا يشغلوا العامة بتلك الفروع عن طريق نشرها، وإذاعتها، وبث الفتاوى الجريئة المترتبة عليها باعتقادهم أو ظنهم. وإذا كان حال الأمة على ما وصفت، فإن الواجب يقتضي أن يُنشر بين الناس ما يجمعهم ويوحدهم وأن يُشغلوا بالمتفق عليه والذي غابت معانيه ومراميهِ الكبرى»¹

وهنا تكمن العلاقة بين الإيمان كعنوان كبير وأفق أعلى ينبغي على الأمة الانتساب إليه، وبين الأمة على اختلاف وتنوع فرقها ومذاهبها، والوحدة التي نرجوها لا تتأتى إلا بالعودة إلى هذا العنوان الكبير.

المبحث الثاني: ترجمة للمؤلفين

المطلب الأول: د. محمد بابا عَمِي

الدكتور مُحمَّد موسى بابا عَمِي ولد 27 أبريل 1967، بقصر بني يزجن بغرداية، زاول دراسته الابتدائية بمسقط رأسه، وتعلم القرآن الكريم بالمدرسة القرآنية، تحصل على شهادة بكالوريا شعبة رياضيات بثانوية مفدي زكرياء. سجل بعد ذلك في جامعة العلوم والتكنولوجيا هواري بومدين بباب الزوار، وبسبب الإضرابات قام بالتحويل إلى المعهد العالي لأصول الدين بكلية العلوم الإسلامية بالعاصمة، حيث تحصل على شهادة الليسانس وديبلوم الدراسات المعمقة، ثم شهادة الماجستير سنة 1997م حول «مفهوم الزمن في القرآن الكريم»، وفي سنة

¹ . مُحمَّد نعيم مُحمَّد هاني ساعي، القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، دار السلام، 2007، ط1/ ص 290

2003م تحصل على شهادة الدكتوراه بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة حول «أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي»، كما درّس في بعض الجامعات لفترات قصيرة، ثم تفرّغ للبحث العلمي، وهو مفكّر غزير الإنتاج العملي والفكري والأدبي فهو مؤلّف لعدّة كتب منها: "سؤال الحضارة" و"تيه ورشاد" و"القاموس الحضاري للمجدّد مُحمّد مهاتير" و"نسمات البوسفور" و"ذي قرتي" كذلك بعض الروايات الفكرية الأدبية "بوبال" و"ميمونة" و"اليربوع الأزرق".

واشتغل بعض الوظائف العلمية الأخرى كأمين عام جمعية التراث بالقرارة من سنة 1992 - 2007 وعضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ سنة 2000، وهو الآن حاليًا متفرّغ لإدارة وإشراف المؤسسات العلمية والمشاريع¹ الفكرية على غرار معهد المناهج ومؤسسة وسام العالم الجزائري ومشروع نموذج الرشد².

المطلب الثاني: د. مُصطَفَى وَيَنْتَن:

الأستاذ الدكتور مصطفى بن الناصر وينتن ولد يوم 13 أفريل 1966 بقصر بني يزجن بغرداية، درس السنة أولى ابتدائي في وهران، ثم أكمل المراحل الأخرى في بلدته بني يزجن، وبالموازة كان يدرس في المدرسة القرآنية الحرة، واستظهر القرآن سنة 1983، وحصل على شهادة البكالوريا سنة 1984، بعدها زاول دراسته الجامعية بالمعهد العالي لأصول الدين وحصل على شهادة الليسانس سنة 1988، ثم انتقل إلى جامعة الأمير عبد القادر لإكمال مرحلة الماجستير وحصل على شهادتها سنة 1996، وكان عنوان الأطروحة «آراء الشيخ المُحمّد بن يوسف أطفيش العقديّة: 1914 - 1812 / 1332 - 1238 هـ»، ثم شهادة الدكتوراه بعد ذلك سنة 2007، بأطروحة موسومة بـ «كتاب "شرح أصول الدين" للشيخ المُحمّد بن يوسف أطفيش: دراسة وتحقيق القسم الأول»، انضمّ لحلقة العزابة في قصره بني يزجن في جويلية سنة 2011، وهو عضو في جمعية التراث، وزاول التدريس في جامعة الأمير عبد القادر من سنة 1998 إلى سنة 2010، ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة غرداية وهو الآن حاليًا أستاذ محاضر فيها³.

¹. سنتحدّث عن هذه المؤسسات والمشاريع لاحقًا

². أخذت المعلومات من حوار أُجري مع الدكتور حرّته جريدة البصائر، الحوار موجود على موقع الجريدة <https://elbassair.dz/17043>

وكذلك من موقع منتدى الجلفة <https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=399592> تاريخ الدخول للموقع 27

فيفري 2023، على الساعة 13:30

³. هذه المعلومات أخذتها من مكالمة هاتفية أجريتها مع الدكتور مصطفى وينتن على تطبيق واتساب Whats App، يوم 26 فيفري 2023،

على الساعة 17:30

الفصل الأول: مدخل تعريفي

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف:

المطلب الأول: الدراسة الشكلية للكتاب

الكتاب تحت عنوان «أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة» من تأليف الأستاذين الدكتور محمد بابا عمي والدكتور مصطفى وينتن الكتاب طُبِعَ طبعين مختلفتين:

الطبعة الأولى:

طُبِعَت سنة 2016 م - 1438هـ، ومقاس الكتاب من الحجم المتوسط (210 * 140 ملم)، وعدد الصفحات فيها 224 صفحة، نشرته مؤسسة كتابك بالجزائر

الطبعة الثانية:

طُبِعَت سنة 2017م، ومقاس الكتاب من الحجم الكبير (170 * 240 ملم)، وعدد الصفحات فيها: 184 صفحة، أما الناشر فكان بالشراكة بين دار الفكر بدمشق سوريا، ومؤسسة كتابك للنشر بالجزائر

المطلب الثاني: ما حول الكتاب

من بين المشاريع والمجهودات العديدة التي تحاول معالجة أزمة الفرقة والتشتت المذهبي بين المسلمين والسعي لتوحيد الصف ولم الشمل بين أبناء الأمة والملة الواحدة من مداخل متعدّدة وزوايا نظر مختلفة، يبرز هذا السِّفر القيم الموسوم بـ «أصول الإيمان - التوحيد ووحدة الأمة -» بمادّته العلمية محولا وضع لبنة من لبنات الإسهام والتشييد لهذا الصّرح العظيم صرح الإصلاح والبحث عن سبل التآخي والحوار وتوليد مقاربات علمية تستظل بسقف قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ {المؤمنون 53}، وقوله أيضا: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ {آل عمران 103}، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ {الأنفال 47}، فإذا كانت النية والمقصد والغاية والهدف هو الوصول إلى هذا المبتغى فإن هذا يستلزم بالضرورة امتلاك أدوات وانتهاج سبل ووسائل ومناهج للوصول إلى هذه الغاية المنشودة، وما يزيد الأمر صعوبة أن الذات الدارسة للموضوع هي جزء من الموضوع ذاته ولا يمكن أن تنفك عنه¹.

¹. عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سلسلة مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2000م، ط1/ ص 5 -

ولكي نبين صعوبة المأمورية نصوغ هذه الصورة الرمزية الآتية: من السهل أن يلمّ شخص ما قطع البازل **Puzzle** المبعثرة والمتناثرة المختلفة الألوان المتباينة الأشكال فيرتبها ويركب بعضها إلى بعض حتى يخرج بصورة زاهية الألوان و متناسقة الأشكال تعبر عن دلالة وتؤدي وظيفة معينة، لكن ماذا لو كانت هذه القطع ذواتا مستقلة ولها إرادات حرة مختلفة هل يمكن أن تتحد بنفسها وتلتئم إرادتها المتباينة والمختلفة من أجل الانتظام وفق نسق معين وبانسجام وتناغم؟ إن نفينا إمكانية ذلك وقلنا بأن هذا مستحيل ولا يمكن فقد أغلقنا أي محاولة للتوحيد بين المسلمين ولمّ شملهم لكن إن فتحنا باب الإمكان وأفسحنا المجال للحوار والتداول واعتبرنا أن هذه الذوات نسبية في إدراكها وفهمها ويعتريها الخطأ والنقص والوهم والظن والشك والريب ومفتقرة إلى ذات أعلى منها رتبة، وأشمل منها إدراكا وعلما وأوسع منها إرادة، تستلهم منها المدد والهداية من أجل توجيه الطاقات نحو معاني الوحدة والأخوة، بهذا المعنى يمكن أن نولد مقاربات تساهم في تحقيق وترسيخ وحدة الأمة.

وقبل أن نتحدث عن محتوى الكتاب، جدير بنا الإشارة إلى أن هذا المؤلف يرتبط بنسق معرفي اشتغل عليه المؤلف ولا يزال، ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية الحية، ومجموعة من الباحثين، والفاعلين والمساهمين.

الفرع الأول: النسق المعرفي للكتاب:

أصطلح على هذا النسق بـ «نموذج الرشد»، وسنفصل قليلا عن هذا النسق المعرفي حتى نستوعب السياق الذي يشتغل عليه المؤلف وبؤرة اهتمامه والمشروع الذي يعمل عليه. والمفهوم يتركب من مصطلحين (نموذج و رشد) وسنحاول تفكيك هذين المصطلحين ثم نبين المعنى المركب الذي صيغ منهما

أولاً: النموذج أو النموذج المعرفي:

هي بنية تصوّرية أو خريطة معرفية يجرّدها عقل الإنسان (بشكل واع أو غير واع) من كمّ هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق الموضوعية فهو ينتقي ويستبعد ويهمش حسب ما يراه محوريًا في نظره¹، ولكل نموذج (مرجعته النهائية) التي تتكوّن من معتقدات وفروض ومسلّمات وإجابات عن أسئلة كلّية ونهائية تشكّل جذروه الكامنة وأساسه العميق، وتزوّده ببعده الغائي وتحدّد موقفه من الإله والإنسان والكون²

ثانياً: الرشد:

مصطلح قرآني، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ {الأنبياء 51}، يفترض نوعاً من الانتقال من حال إلى حال، ﴿فَإِنْ أَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ {النساء 06}

¹. عبد الوهاب المسيري، رحلي الفكرية، المرجع السابق، ص 274

². للتوسع انظر: عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، سلسلة حوارات، تحرير سوزان حربي، دمشق، سوريا، 2010، ط2/ص 277

الفصل الأول: مدخل تعريفي

وهي خير وصف لهذا النموذج الذي يضع الحركية والفعالية ركيزة من ركائزه، كما أن المصطلح نقيض السفه الذي بسببه يُجبر الإنسان على ماله، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ {النساء 05} ويمكن أن يعمم المعنى فيُحجر على (السفه المعنوي) حتى يرشد - وهو الذي لم يصل إلى حال الرشد في شتى المجالات السياسية، الاقتصادية، الثقافية، إلخ.¹

ثالثا: نموذج الرشد:

أداة تحليلية منهجية لفهم تركيبية الواقع لمعرفة كيفية التعامل معه والتأثير فيه، في حركية دائبة بين الفكر والفعل بين العلم والعمل والبحث عن التناغم بين أفكار الإنسان وأعماله، يستند في تأصيل فكره إلى كلام الله تعالى وكل ماله ارتباط وثيق به، أما نشاطه فيتسم بالنسبية واحتمال الصواب والخطأ طالما أنه جهد بشري² هذا التعريف البسيط لهذا المشروع يسلمنا إلى أنه يحتوي على جانبين: جانب فكري نظري وجانب عملي تطبيقي. وستناولهما بشيء من التفصيل والإسهاب

أ- الجانب الفكري النظري للنموذج:

نموذج الرشد يتمحور حول سؤال الأزمة إذ يشكّل قلبه النابض وهو سؤال انفصام الفكر عن الفعل، وانسلاخ الفعل عن الفكر الذي يسنده ويؤطره، ويحاول معالجة مفارقة مفادها: لماذا لدينا رؤية فكرية إسلامية حضارية تؤسس للتحضر والتمكين والعلم بينما واقعنا يسيخ في أوحال الجهل والتخلف والتقهقر والتبعية والتفتت والتشردم، وغدا المسلم تائها بين ذاكرة تاريخية أسست للنهوض والتحضر والرفول وواقع يقبع في الانحدار والأفول، وأصبح يعيش حياة برزخية كئيبة تجتث الفعل عن جذوره الملية وتحجر الفكر وتعيقه عن الفعالية والحركية³

هذا هو السؤال المحوري الذي يشغل عليه نموذج الرشد، وهذا السؤال تبنى عليه أعمدة أربعة⁴، صاغها هذا النموذج:

1. حركية الفكر والفعل: الانتقال من العقل إلى الواقع ومن الواقع إلى العقل دون الاختصار على جانب

واحد، ودائما رهانه العمل ضمن مجموع، والمجموع لن يتحرك ما لم يملك (قلبا عقولا ولسانا سؤولا)¹ حاملا هم سؤال الأزمة بين جنبه

¹. جابر ناصر بوحجام، إنتاج المعرفة في سياق حضاري متأزم، دار النشر: كتابك، الجزائر، 2021، ط1/ص244

². المرجع نفسه، ص 237 وما بعدها

³. طه كوزي، أزمنا الحضارية العقدة والمخرج قراءة فكرية على ضوء نموذج الرشد، دار النشر كتابك، الجزائر، 2015، ط1/ص119

⁴. جابر ناصر بوحجام، إنتاج المعرفة في سياق حضاري متأزم، المرجع السابق، ص 239 وما بعدها

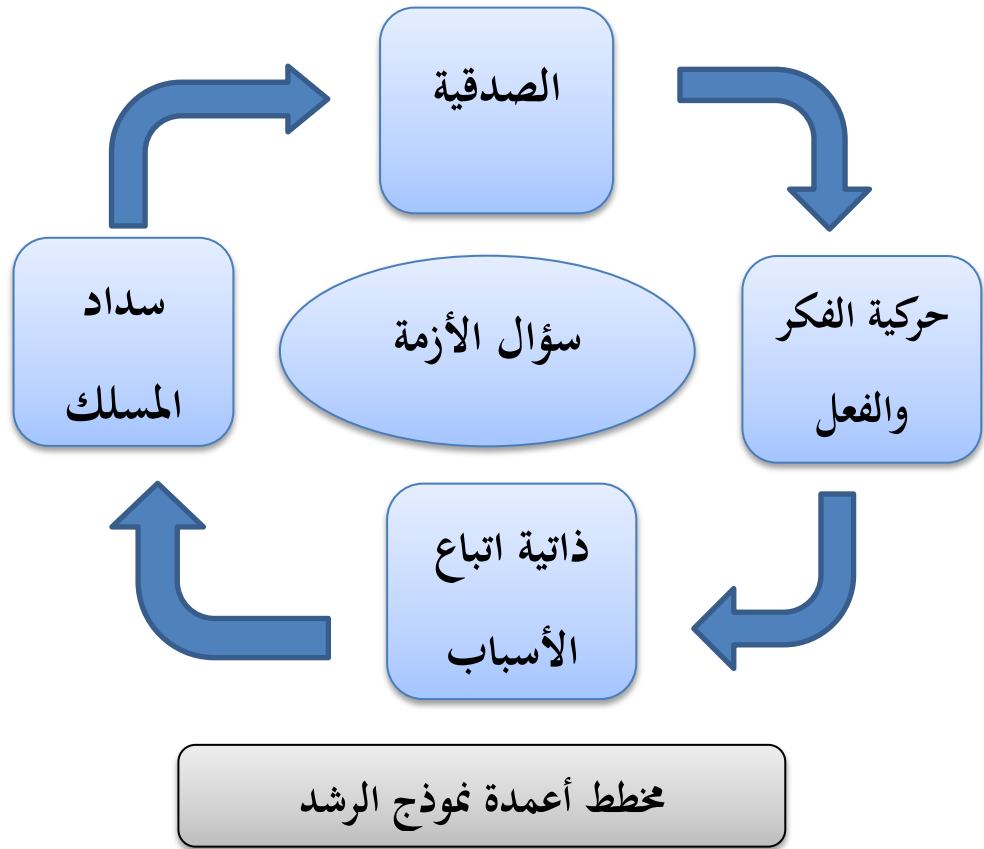
2. ذاتية اتباع الأسباب: الذي يمنع حامل هم سؤال الأزمة من التردّي في أحد الدّهانين ذهان السهولة وذهان الاستحالة²، هو "مبدأ ذاتية اتباع الأسباب"، إذ يُعتبر المعيار الثاني لنموذج الرشد إذ يؤمن إنسان نموذج الرشد أنّ الله قد أودع في الكون سنناً، إن هو استفرغَ وسعته في اتباع الأسباب وفق قدرته وطاقته فإن النتائج ستكون على قدر توكله على الله إخلاصاً وعملاً ودعاءً³، واتباع الأسباب لا يعني اتخاذها فحسب بل مراعاة ترتيبها، وتناسبها مع الزمن والوسع والاستطاعة⁴
3. سداد المسلك: المعيار الثالث للنموذج هو سداد المسلك وهو مرتبط بمبدأ الفعالية الذي يؤكّد عليه، فليس المطلوب أداء الفعل الصحيح فقط، وإنما المطلوب أداء الفعل الصحيح بطريقة صحيحة، والبحث عن سبل الجمع بين العقل العملي التطبيقي والعقل النظري الذي يؤطره ويوجّهه
4. الصدقية: أو القابلية للصدق، والنموذج يُفصح عن نفسه من خلال هذا المعيار ويُعرض نفسه للنقد والتصويب بمنطلق منه، فهو معيار ذاتي جوهريّ فعال يحاسب به الإنسان نفسه قبل أن يحاسبه غيره
- هذه باختصار هي الأعمدة التي يركز عليها نموذج الرشد في التأسيس لمشروعه الحضاري ويمكن أن نمثّل لهذه المعايير بالمخطط الآتي:

¹ . هذه القول يُنسب لعلي بن أبي طالب قال: «وَاللّٰهُ مَا نَزَّلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَأَيُّنْ أُنْزِلَتْ، إِنَّ رَبِّيْ وَهَبَ لِيْ قَلْبًا عَقُولًا، وَلِسَانًا سَوُوْلًا»، المصدر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة مصر، 1394هـ - 1974م، ج1/ص67

² . ينعت مالك بن نبي هذا القصور في النظر بالخيانة حيث يقول: «وهذان الشكلاّن من أشكال الخيانة يتمثّلان في العالم الإسلامي الحديث في صورة نوعين من (الذهان psychose): فإمّا أن يتمثّل في صورة النظر إلى الأشياء على أنّها سهلة، وهو قائد ولا شك إلى نشاط أعمى، (كما كانت الحال في قضية فلسطين)، وإمّا أن يأخذ صورة النظر إليها على أنّها مستحيلة، فيصاب النشاط بالشلل، وهذا ما يحدث غالباً في شمال إفريقيا» انظر مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، طبعة 2002، ص 88

³ . طه كوزي، أزمّتنا الحضارية العقدة والمخرج، المرجع السابق، ص 124

⁴ . نفس المرجع، ص 125



يبني نموذج الرشد بناءه الفكري بالاستناد إلى معالم وروافد¹ قاربوا سؤال الأزمة الذي شخّصه النموذج فقائمة المعالم تضمّ كلّ عَلمٍ عاجل سؤال الأزمة في كلياته ومارس الحلّ في واقعه ويوميّاته، أما من عاجل سؤال الأزمة في جزئية منه وقارب الحلّ بناء على رؤيته اعتُبر من الروافد، ويمكن أن نذكرهم باختصار.

فأما المعالم: 1 - مالك بن نبي 2 - علي عزت بيجوفيتش 3 - فتح الله كولن 4 - عبد الوهاب المسيري 5 - مُجّد مهاتير 6 - طارق رمضان.

وأما الروافد: 1 - الشيخ مُجّد متوّلي الشعراوي 2 - عمرو خليفة النامي 3 - مُجّد إقبال 4 - مُجّد باقر الصّدر 5 - وحيد الدين خان 6 - أبو الأعلى المودودي 7 - أحمد داود أوغلو 8 - مُجّد الغزالي 9 - علي شريعتي 10 - ميشال كولون 11 - إدوارد سعيد 12 - نعوم تشومسكي 13 - كارل بوبر 14 - إدغار موران 15 - هوستن سميث 16 - ماكس فيبر

هذا بالنسبة للجانب النظري للنموذج.

¹ . طه كوزي، أزمّتنا الحضارية، المرجع السابق، ص 168 - 213.

الفصل الأول: مدخل تعريفي

ب- الجانب العملي التطبيقي للنموذج:

بالنسبة للجانب العملي التطبيقي للمشروع فقد أسّس عدّة مشاريع ومؤسّسات في سياق خصب وشبكة حيّة من العلاقات الاجتماعية والفكرية، نذكر أهمّها:

1. **معهد المناهج:** معهد المناهج هو معهد يعنى بالتكوين والبحث العلمي تأسس واعتمد سنة 2007، المعهد يقدم خدمات للطالب الجامعي في كل مراحله الدراسية، كما يقدم تكوينات في منهجية البحث العلمي لفائدة الباحثين والطلبة المحضرين لأطروحات التخرج، وذلك قصد ضبط منهجية البحث وترقية البحث العلمي، وهناك حلقات فكرية مفتوحة للجميع ينظمها المعهد، وتحمل شعار "أول فعل". وهي عبارة عن مطالعات موجهة من طرف أساتذة ودكاترة في كتب فكرية "بنية العمل"، ويعد المعهد وكيلا وممثلا لجامعات دولية، وتمت فيه مناقشة العديد من رسائل الماجستير وأطروحات دكتوراه، كما نظم جامعات صيفية ورحلات علمية والعديد من المنتديات والتكوينات المتخصصة¹.

2. **المدرسة العلمية:** مؤسسة للتربية والتعليم خاصة معتمدة، رسمية بمنهاج وزارة التربية الوطنية رسالتها: تنشئة تلميذ مؤمن، فعال في محيطه، يعيش عصره، غايتها رضوان الله سبحانه وتعالى، نشأت: سنة 2001 بالجزائر العاصمة، وحصلت على الاعتماد: سنة 2005، تضم مستويات الابتدائي والتحضيرى والثانوي، منهجها إدامة المقصد والمعنى بجانب الشكل والمبنى والتعلّم بالممارسة والحقّ في الخطأ وتشجيع البحث المستمر وتفعيل العقل التوليدي (التفكير، المنهج، التأمل، التجريب، النقد....) وتحكيم العلم وتنمية روح السؤال، وأما المهارات والمعارف التي تقدّمها: إرساء اللسان العربي وتفعيله "قراءة واستيعاباً، كتابة وتأليفاً... تثمين المهارات الفنية والإبداعية، وروح القيادة، تقوية قدرات التلميذ بالرياضة والمنافسات اللاصفية، تقوية قدرات التلميذ بالرياضة والمنافسات اللاصفية، تفعيل اللغة الإنجليزية للتواصل العالمي والعلمي، تدريس اللغة الفرنسية حسب حاجة السياق، الحوار، الاكتشاف، التواصل، العمل الجماعي، الحس الفني....²

¹. معلومات مأخوذة من حساب المعهد على الفايسبوك، باسم معهد المناهج،

https://web.facebook.com/Al.Manahidj.Institute/?_rdc=1&_rdr

². معلومات أخذت من موقع المدرسة، <https://alilmiya.net/portal>، الدخول إلى الموقع يوم 20 أوت 2023، على الساعة:

02:15، هذه المدرسة العلمية أضحت نموذجاً يقتدى بها في المدارس العلمية الخاصة في باقي ولايات الوطن من حيث المحتوى والمضمون والبرامج التي تقدّمها والقيم التي يحرص عليها، وعن فلسفة هذه المدارس راجع: محمد بابا عمي، تيه ورشاد، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1/ ص 210، طه كوزي، أزمتنا الحضارية، المرجع السابق، ص 85، كذلك: جابر ناصر بوحجام، إنتاج المعرفة في سياق حضاري متأزم، المرجع السابق، ص 249

3. مؤسسة وسام العالم الجزائري: «بادر معهد المناهج رسماً للقدوات الخيرة، وبعثنا للفعل في عروق الأمة، بالعمل مع مؤسسة وسام العالم الجزائري إلى تنظيم تظاهرة "وسام العالم الجزائري". فترصّعت ذاكرة هذه التظاهرة بأعلام أفذاذ تم اختيارهم حسب معايير علمية وأخلاقية دقيقة، مستأنسين بترشيحات المتفاعلين مع: مؤسسة وسام العالم الجزائري، ومعهد المناهج، من مختلف الفئات: طلبة وباحثين ودكاترة وعلماء، من شتى الأطياف والمؤسسات الفاعلة في المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى عدد من الدكاترة والأساتذة والباحثين من داخل الوطن وخارجه، وبفضل تعاون مؤسسات إعلامية وعلمية واقتصادية راعية للتظاهرة»¹.

وقد ابتدأت هذه التظاهرة مع افتتاح معهد المناهج سنة 2007 وكان أول المتوجين آنذاك هو شيخ المؤرخين: الدكتور أبو القاسم سعد الله، وبعدها توالى التتويجات وفي كل سنة يتوّج عالماً في أيّ حقل من حقول المعرفة، وآخرها كان سنة 2022 وكان تتويجاً لثلاثة أسماء تركت بصمتها في سماء العلم والبحث العلمي وهم: الدكتورة نعيمة بن كاري بوديدح في مجال الآثار والهندسة المعمارية، والبروفيسور يوسف منتالشته في مجال الإعلام الآلي، والدكتورة نشيدة قصباجي في مجال الطاقات المتجددة²

هذا هو باختصار النسق الذي وُلدَ هذا الكتاب من رحمه³

الفرع الثاني: الفكرة العامة للكتاب:

ومن حيث المحتوى والمضمون يمكن أن نقسّم الكتاب إلى شطرين: الشطر الأول منه عاجل موضوع وحدة الأمة والبحث عن السبيل الذي يمكن أن ندخل به إلى الموضوع، والمقاربة التي يطرحها الكتاب هي عملية الفصل المنهجي بين أصول الإيمان الجامعة وأصول المذهب المشروعة، باعتبار أن أصول الإيمان هو المجال الذي يحتوي جميع أصول المذاهب المشروعة، والسقف الذي يجب أن تستظلّ الأمة تحتها من أجل توحيد نفسها، مع تقرير الحق في تقليد المذاهب المشروعة باعتبارها فروعاً، عن أصول الإيمان، ودليلاً على سماحة الإسلام وسعته، لا تبريراً لتشتت الدين وأهله

¹. من موقع مؤسسة وسام العالم الجزائري، <https://www.algerianscholaraward.org>، تاريخ الدخول، 20 أوت 2023

². نفس المرجع.

³. للاطلاع على هذا المشروع والتوسع فيه، انظر كتاب أزمنا الحضارية ل طه كوزي، إنتاج المعرفة ل جابر ناصر بوحجام، وبعض اللقاءات الحوارية الإعلامية منها: استضافة الدكتور طه كوزي في برنامج قراءات على القناة الوطنية

https://www.youtube.com/watch?v=V8FoTbpek_w&t=766s

أما الشطر الثاني حوى مقالات عن أصول الإيمان، بأسلوب أدبي مؤثّر، مستعملا فيه بعض الصور الإدراكية والفنيّة (القصة، ضرب المثال، إلخ) بغية التأثير في النفس والوجدان، وتحريكا للجوارح من أجل العمل، بيّن الكاتب من خلالها رؤيته لواقع الأمة وموقفها من أصول إيمانها مصححا بعض التصوّرات والتصرّفات، في إطار الفكر السّماح المنفتح على التداول والحوار.

كما أنه حاول ضبط بعض القواعد الكلية التي يمكن أن تؤطّر منهجية البحث في المجال العقدي، وحصر جملة من الأخطاء المتعلقة بالمنهج عند دراسة العقيدة وعلم الكلام¹

¹. مُجّد بابا عمي ومصطفى وبتن، أصول الإيمان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2017، ط 1 / ص 11 - 12.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

ويحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: توحيد الأمة من خلال توحيد أصول الإيمان

المبحث الثاني: حديث الفرقة الناجية

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

المبحث الأول: توحيد الأمة من خلال توحيد أصول الإيمان

اشتغل الفكر الإسلامي المعاصر بقضية توحيد الأمة وتنوّعت المدخلات واختلفت المقاربات في هذا الموضوع، والمفارقة التي تؤرّق هذه الجهود هي أنّ المسلمين يجمعهم قرآن واحد وسنة واحدة إلا أن تعدّد المناهج واختلاف المواقف مع النصّ الديني، وتباين الرؤى، وتحت وطأة الظروف التاريخية، والسياسية التي مرّت بها الأمة الإسلامية على مرّ العصور نتجت ما يسمّى بالمذاهب والفرق الإسلامية، اتخذت كلّ منها أصولاً لمذهبها تميّزها عن غيرها من المذاهب والفرق، هذه الأصول صنعت حواجز وجزر معرفية بينها أعاقّت أيّ سبيل للحوار والتفاهم، رغم أنّها تنهل من معين واحد، معين الوحي الذي لا ينضب ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكي نربط بين هذه الجزر المعرفية نحتاج أن نربط أصولها بأصول أعلى منها رتبة، فتصبح بالتالي فروعا نابتة عن أصول وبهذا يمكن أن نساهم بخطوة في سبيل توحيد الأمة، توحيد لا يلغي الفوارق ولكن يقوم على جمال التنوع والتوافق.

والدارس لمجال العقيدة وعلم الكلام سيجد أن كثيرا مما خاض فيه علماء الكلام يدخل في مجال الغيبيات، والكثير من القضايا التي رُفعت من شأنها وضُحمت، وتبوأت مكانة مركزية في علم الكلام الإسلامي، لا يمكن الجزم والقطع فيها فضلا عن تخطئة المخالف فيها في الرأي والمنهج.

المطلب الأول: الفصل بين الأصول والفروع في العقيدة كمقاربة لتوحيد الأمة:

الفرع الأول: تحديد أصول الإيمان:

يذكر الكتاب أن مصطلح «أصول الدين» تداوله العلماء بتعريفات عدّة، واستعمل استعمالات كثيرة، منها ما اعتبر فيه مجرد المعنى اللغوي، ومنها ما اعتبر أنه يجمع كلّ مهمّ في الدين، ومنها ما اعتبر فيه جملة مبادئ وآراء عقديّة تميز فرقة ومذهبا عن غيره¹، وقد كان عنوانا لمؤلّفات كثيرة على غرار: (معالم أصول الدين لفخر الدين الرازي) و (أصول الدين لعبد القادر البغدادي) و (أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي) و (أصول الدين للقاضي البزدوي) ومن المعاصرين (أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي عليان) ... إلخ.

من أجل تحديد هذه الأصول تحديدا منهجيا يضع الكاتب معيارين لذلك:

■ أحدهما: «عدم الاختلاف» على الأصل، والإجماع عليه

¹ . محمد بابا عمّي ومصطفى وينتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 25

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

■ والثاني: «التأصيل»، بالورود في النص القرآني والسنة الصحيحة

وسنبداً بالمعيار الأول:

أولاً: عدم الاختلاف على الأصل:

حاول من خلاله أن يضبط تعريفاً لهذا المصطلح - أي الأصول - بتعريف ضابط واضح، وأتى بتعريف الجرجاني في كتابه التعريفات: «الأصل ما يُبنى عليه غيره»¹ وأضاف: «وفروع الشرع مبنية على أصوله، فما يجوز فيه الخلاف مبني على ما لا يجوز فيه»² يلاحظ على هذا التعريف أنه مقيد بقيد وهو أن «الأصل لا يجوز فيه الخلاف والفرع يجوز فيه الخلاف»، هذا القيد يمكن أن يُبطل هذا المعيار، لأن هذا الحكم صادق في دائرة الشرع والتعريف هو تعريف اصطلاحى جعل للأحكام الفقهية العملية التي يجوز فيها الاختلاف³، لكن أن ينتقل هذا الحكم إلى المتون العقدية لفصل فيها ما يجوز الخلاف فيه وما لا يجوز، فهذا يحتاج إلى ضبط منهجي أكثر لأن الاعتقاد مبني على اليقين فما اعتقده أنا صواباً بالضرورة سيجعلني أعتقد المخالف لي في الرأي على خطأ⁴، وهذا الآخر المخالف كذلك، لكن بين التخطئة والتكفير أو التفسيق أو التبديع مسافات مختلفة، واطلاقها - أي هذه الأحكام - يتراوح بين التضييق والتوسيع، حسب صاحب هذا الحكم وزاوية النظر منها.

لكن في هذا التعريف اعتبر الجانب اللغوي فيه واستخرج منه قاعدة مفادها أن «ما اتفقت عليه الأمة هو الأصل، وما اختلفت عليه هو الفرع» وبناءً عليها بنى منهجه في تمييز كل مادة عقدية عن أخرى مما لا يُعتبر أصلاً، إذا ثبت استناده إلى غيره، لكن نجده يستطرد ويقرّ بأن إنزال هذا التعريف اللغوي المجرد على واقع المفاهيم

¹ . علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، ص 45

² . محمد بن يوسف اطفيش، شرح أصول الدين، تحقيق مصطفى وينن، ضمن متطلبات أطروحة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية، قسنطينة الجزائر، 2007، ج 1/ص 268

³ . هناك من الباحثين من أورد ثلاث معاني لمصطلح الأصل: سنورها بالإجمال دون تفصيل:

• المعنى الأول: الأصل هو العقيدة والفرع هو الشريعة

• المعنى الثاني: الأصل هو القطعي والفرع هو الظني

• المعنى الثالث: الأصل ما يكفر منكره والفرع ما لا يكفر منكره

للتفصيل راجع: زهير بن عمر، أثر خبر الآحاد في العقيدة، مجلّة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 16، 2017م، ص 273 - 275.

⁴ . يخصص الكتاب فصلاً مستقلاً عنونه بأخطاء في المنهج من مصادر علم الكلام، ووضع فيه 47 خطأ في نظره، سنأتي لتحليلها لاحقاً، من بين هذه الأخطاء: - ادّعاء أنّ الآخر المخالف هو بالضرورة على خطأ.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

سيكون من الصعب تحديد أصول متعدّدة ومعينة، فإذا نظرنا إلى العقيدة على أنها ترجع في نهاية المطاف إلى شيء واحد وهو توحيد الله تعالى والإيمان، فإن كل معنى وكل قضية مطلوب الإيمان بها إنما هي فرع عن التوحيد¹،

فإذا كان المعيار الأول - عدم الاختلاف -، لم نستطع به ضبط أصول محدّدة فإن هذا يحتاج إلى ضابط ومعيّار آخر وهو التأصيل.

ثانياً: التأصيل:

أي بالورود في النص القرآني والسنة الصحيحة

ذكر الكاتب الآيات القرآنية التي عدّدت أركان الإيمان وجعلها الله تعالى من البرّ، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ {البقرة 176} وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ {البقرة 284}، ثم ذكر الأصول التي عدّها النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»² ووصل إلى نتيجة أن الأصول الإيمانية هي:

- الإيمان بالله سبحانه
- الإيمان بالملائكة
- الإيمان بالرسول
- الإيمان بالكتب
- الإيمان باليوم الآخر
- الإيمان بالقدر

¹. مُجَدِّدُ بَابِ عَتِي وَمُصْطَفَى وَبَيْنَ، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 26 - 27

². صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم 08

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

نلاحظ أنّ هذه النصوص تختلف في عدد هذه الأصول، الآيات القرآنية التي ذكرها¹، تجعلها خمسة أصول بينما الحديث النبوي يجعلها ستة باعتبار الإيمان بالقدر أصلاً قائماً بذاته، لكن بالاعتماد على آيات القرآن ندرج الإيمان بالقدر ضمن الإيمان بالله، وهنا نحتاج إلى تفصيل منهجي أدقّ، هل نكتفي بالآيات القرآنية في تعداد هذه الأصول أم نعززها بالنص الحديثي أم نعتبرهما - النص القرآني والحديث النبوي - مصدراً واحداً، لذلك تُعتبر هذه النقطة ثغرة منهجية كذلك في تعداد هذه الأصول. أما من حيث المبدأ فهي صحيحة.

الفرع الثاني: العلاقة بين الأصول العقدية العامة والأصول المذهبية:

يورد الكتاب أهم الأصول المذهبية²: المعتزلة والإباضية على سبيل التمثيل باعتبار أن هذين المذهبين لهما أصولاً واضحة ومصرّح بها، أما باقي المذاهب فإن لها أصولاً تقرب من عموميات أصول الإيمان، كما أنه اكتفى بذكر أصول الفرقتين الإباضية والمعتزلة فقط، على سبيل التمثيل واكتفى بإشارة طفيفة إلى الفرق الأخرى شيعة، سلفية، أشاعرة، ماتريدية ... إلخ، وكان الأحرى أن يذكرها، لأنّها هي الموجودة الآن بينما المعتزلة مثلاً قد انقرضوا ولا وجود لهم الآن كمدرسة لها أتباعها.

ويرى أنّ هذه الأصول المذهبية هي تفسيرات للأصول العامة التي ورد النص بشأنها، ولا يمكن أن ترتفع إلى رتبة النص نفسه وهذه الفروع من جملة ما ورثه المسلمون عبر العصور، وما تراكم في تراثهم من مفاهيم وتفسيرات، وما عاشوه من قضايا وأحداث، جعلت في الأخير مضمون متون العقيدة وعلم الكلام أحسن حامل لتاريخ المسلمين الفكريّ كما أنّ هذا الفصل بين الأصول الإيمانية الستة والفروع العقدية لا يعني الانتقاص من الأصول المذهبية، ولا إنكار تفسير العلماء للأصول الإيمانية، ولكن يضع كلّاً في مقامه، ويحفظ له أهميته، ويُرتّب في هذا الفصل الأصل قبل الفرع، ويظهر مقام الفكر البشري من مقام الوحي الإلهي، من غير أن يهيمن التفكير البشري على النص، فيكون سبباً في الحدّ من الانتفاع بالنص.

وأورد بعض القضايا العقدية على سبيل المثال التي تبوّأت مكانة مركزية في العقيدة وعلم الكلام وبين أنّه يمكن اعتبارها فروعاً عقدية طالما أنه تندرج تحت الأصول الستة للإيمان، كأنواع التوحيد وتفرّيعه إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال، كذا قضية رؤية الله بين الإثبات والنفي فكل هذه القضايا يمكن أن تندرج تحت أصل الإيمان بالله، كذلك قضية خلق القرآن والتي لا تزال تجرّ وتقمّ وتتناول بالمنهج ذاته الذي كانت عليه أيام الاختلاف بين المسلمين، يمكن أن ندرجها بين أصل الإيمان بالله تعالى والكتب المنزلة، وهنا

¹. هناك آية أخرى في سورة النساء تذكر أركان الإيمان لكن بمفهوم المخالفة أي من ينكر هذه الأركان يعدّ كافراً ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ {النساء 135}

². مُجَدِّ بابا عمي ومصطفى وبتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 30 - 34.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

يظهر كذلك أثر البيئة العلمية والسياسية أيضا على الفكر البشري جليًا في قضية خلق القرآن، فهي لم تكن قضية مستحوذة على العقول مشغلة للناس أيام الرسول ﷺ، ولا من بعده من الخلفاء، ولكن تطوّرت بعد ذلك، وأصبحت تُعقد بسببها معاهد ولاء وبراء، «وصارت سببا من أسباب الجرح والتعديل التي تضعف بها الأسانيد والأحاديث، وجرح بها أقوام من العلماء والمحدثين والفقهاء والقضاة والرواة»¹، كذلك قضية أفعال العباد بين الجبر والاختيار تدرج ضمن مسألة الإيمان بالقضاء والقدر، وما تعلّق بمصيره ومسمّياته واعتقاد كونه سعيدا أو شقيا، وشروط ذلك، والمنازل بين الكفر والإيمان إثباتا ونفيا، كلّها يمكن أن تدرج ضمن أصل الإيمان باليوم الآخر².

وفي هذا الكتاب كذلك حدّد أهم سمات هذه الأصول المذهبية³:

- أنّها تنشأ عن منهج التعامل مع النص المصدري كتاب أو سنة.
- إظهار التمايز المذهبي عن غيره من المذاهب
- غالبا ما تنشأ كردّ فعل، وجواب، وموقفا من آراء الآخرين المخالفين للمذهب
- أنّها اختيار من أصحاب الفرق ولو أنّها استمدّت شرعيّتها من النصوص
- لا تكتسب قوة الأصول العامة ولا يمكن أن تحلّ محلّها في الرتبة
- الأصول المذهبية عند اجتماعها تنتج خصوصية مذهبية، كما أنه قد يحدث تقاطعات بين أصول المذاهب المختلفة، عندما تنظر إلى قضية عقدية من زاوية نظر معينة كأصل التوحيد عند المعتزلة مثلا لا يمكن أن يحتكر به المعتزلة فقط، إلا من جهة زاوية النظر لهذا الأصل.

هذه الإشكالات ظهرت بسبب عدم اتّصاف مدلول الأصل الذي تناولناه سابقا هل نقصد به القطعي مقابل الظني الذي هو الفرع، أم نقصد به ما يُكفّر منكره مقابل مالا يُكفّر منكره الذي هو الفرع. وبما أن الكتاب حدّد مدلوله من الأصل أي «ما اتفقت عليه الأمة هو الأصل وما اختلفت عليه هو الفرع» فإن هذه الأصول المذهبية تعتبر فروعاً طالما أنّها تندرج تحت أصول الإيمان الست.

هناك مقارنة مشابهة لهذه، وهي مقارنة الدكتور رشدي عليان، لكنه يذهب إلى جعل الأصول المتفق عليها

ثلاثة فقط وهي:

¹. مُجَدِّ نعيم مُجَدِّ هاني ساعي، القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، المرجع السابق، ص 452

². مُجَدِّ بابا عمي ومصطفى وبتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 37. 43

³. نفس المرجع، ص 35. 36

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

(1) الاعتقاد - إجمالاً - بوجود الله، وبجميع صفاته الثبوتية الراجعة إلى أنه متصف بجميع صفات الكمال،

وبجميع صفاته السلبية الراجعة إلى تنزهه عن جميع صفات النقص، ولا يلزم الاعتقاد بذلك تفصيلاً.

(2) الاعتقاد بنبوة محمد ﷺ، وأنه صادق فيما بلغه عن ربه إجمالاً

(3) الاعتقاد بالبعث والحساب والثواب والعقاب

♦ فالإيمان بالملائكة والكتب السماوية والرسول يمكن إدراجها تحت الإيمان بالرسول ﷺ لأنها مما جاء به وأخبر عنه، وهي مما علم من الدين بالضرورة ومنكرها يعتبر كافراً، لكن بهذا الاعتبار لا يمكن أن يتحقق فيه معيارنا الذي أوردناه سابقاً - أي جواز الاختلاف في الفروع - اللهم إلا إذا اعتبرنا هذه الأركان (أي الإيمان بالملائكة والرسول واليوم الآخر) من جهة التفاصيل وليس من جهة أنه أصول بهذا المعنى يمكن أن نعتبرها فروعاً بالضابط الذي حدّدناه

♦ كذلك أصل العدل عند المعتزلة يندرج ضمن التوحيد، وأصل الوعد والوعيد يندرج ضمن العدل إذ هي صفة من صفات الكمال لله تعالى، أو ضمن الإيمان بالبعث واليوم الآخر

♦ كما أنّ أصل الإمامة عند الشيعة ليست من أركان الإيمان بحيث أنّ منكرها لا يكون شيعياً، لا أنّه لا يكون مؤمناً أو مسلماً.

وعلى ضوء هذا يحدّد الدكتور رشدي عليان الفرق بين الأصل الديني والمذهبي

■ الأصل الديني ما يستلزم إنكاره الكفر والخروج من الدين

■ الأصل المذهبي ما يستلزم إنكاره الخروج من المذهب، لا الكفر والخروج من الدين¹

وهذا يتفق مع المعنى الثالث الذي ذكرناه سابقاً، لمدلّل الأصل وهو أنّ الأصل ما يكفر منكره والفرع ما لا يكفر منكره².

والدكتور محمد سليم العوا في كتابه المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين، عبّر في مقدّمة كتابه على أنّه من أجل اختيار عنوان مناسب لكتابه أثر استخدام لفظة مدرسة ومدارس على لفظة

¹ رشدي عليان وقحطان عبد الحميد الدوري، أصول الدين الإسلامي، مطابع بيروت الحديثة، بيروت، لبنان، ص 57 - 60

² للتفصيل راجع: زهير بن عمر، أثر خبر الأحاد في العقيدة، مجلّة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 16، 2017م، ص 273 -

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

«نحلة» أو «فرقة» ، لأن لفظة مدرسة تدل على محاولة طلب العلم والتنوع في الأساليب، وهذا حتما سينتج اختلاف في النتائج¹.

نعود إلى كتابنا من جديد - أصول الإيمان -، إذ يرى أن الأخرى أن تسمى «أصول الاختلاف» أو «أصول المذهب»، لا «أصول الدين» على الإطلاق لأن أصول الدين من المفروض ألا تكون موضع خلاف بين المسلمين فلا يفرق بين المسلم وغيره، إلا اختلافه مع الملل الأخرى في أصول إيمانه وأحكام الشريعة الأخرى²، وهنا يأخذنا الأمر إلى تساؤل آخر كذلك عن بعض الفرق التي تحسب على الإسلام كالدروز والإسماعيلية والنصيرية والقاديانية والبهائية³، والتنويه بها في هذا الموضوع ليس للإقرار بها لكن لحسم أو لرسم خطط التعامل معها فهؤلاء لهم أتباع كثر في أنحاء المعمورة، وهم يدعون أنهم ينتمون إلى الإسلام، لذلك وجب على الأمة الإسلامية أن تهندس وتبرمج الخطط الفكرية والسياسية والاجتماعية، للتعامل مع هذه الفرق⁴.

هذه المقاربة في التفريق بين الأصل الديني العقدي الجامع، والأصل المذهبي، يمكن أن نورد عليها بعض الملاحظات⁵

- أن الأصل والفرع لهما معان كثيرة كما بينا سابقا، والتعريف الذي أتى به يعتبر اختيارا من بين هذه المعاني وليس التعريف الوحيد فقد يُوافق عليه وقد لا يُوافق، خاصة في تطبيقه على المتون العقدية⁶
- هذه المقاربة ستوقع صاحبها في نزاع بينه وأرباب المذاهب إذ أن كل مذهب يقرّ بأن ما استنبطه من عقائد قطعي يتطابق كلياً مع النص.
- كذلك هذه المقاربة لم ترسم هندسة التعامل مع الآخر المخالف بين الفرق، فهو إلى جانب إقراره بجواز اتباع المذهب وتقليده، يذمّ اتهام المخالف بشق صنوف الأحكام (مخطئة، تبديع، تفسيق، تكفير ... إلخ)، لكن تقليد أي مذهب واتباع منهجه في استنباط العقيدة سيؤدّي إلى اعتبار الفرق الأخرى - في أحسن الأحوال - مخطئة، هذا إذا لم تتعدّها إلى التبديع والتفسيق والتكفير، فهذا يعني مثلاً أنه ليس

¹ . ١. مُجّد سليم العوّاء، المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ط2/ص

20

² . ٢. مُجّد بابا عمي ومصطفى وينتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 36

³ . ٣. مُجّد نعيم مُجّد هاني ساعي، القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، المرجع السابق ص 332

⁴ . ٤. مُجّد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق، 1997، ط1/ص 107

⁵ . ٥. مُجّد طبّاخ، الوحدة العقدية وأثرها في تماسك المجتمع الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص عقيدة إسلامية، جامعة الحاج

لخضر باتنة كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، السنة الجامعية 2021/2020، ص 261 - 264

⁶ . ٦. وإلى هذا يشير الأستاذ الدكتور مُجّد سليم العوّاء، أنّ ما يعدّ أصلاً وما يعدّ فرعاً هو ذاته مما تختلف فيه الأفهام وتباين. انظر مُجّد سليم العوّاء،

المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين، المرجع السابق، ص18

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

للإباضية، أن يقطعوا ويجزموها بأنّ مصير مرتكب الكبيرة الذي لم يتب هو خالد مخلّد في النار¹، وليس لهم أن يدّعوا أنّ رأيهم العقدي - وهو أصل مذهبي - هو الوحي ذاته، وليس لهم أن يرموا مخالفهم في هذه القضية بالتخطئة والبطلان، أو قضية الصفات مثلاً فليس للإباضية والأشاعرة أن يقطعوا ويجزموها بأنه لا يد الله على الحقيقة طالما أنّ هناك فهم آخر لهذه النصوص، لذلك فتقليد المذهب في المنهج سيسلم بالضرورة تبني حكم على الآخر المخالف.

■ عملية الفصل المنهجي التي اقترحتها هذه المقاربة بين الأصل الديني والأصل المذهبي، أو بين النص الديني والتفسير البشري لا يمكن أن تحلّ الإشكالية نهائياً، فالنص دائماً موجود وهو صامت في حدّ ذاته، والذي يَسْتَنْبِطُ من الدلالات هو الفهم البشري والمنهج الذي ينحته، والمقابليات والبرادايما^{*} والقوالب التي تؤطّر العقل في عملية الاستنباط²، ذلك أنّه حتى هذا التحديد - أي أن الأصول هي ست فقط - هو استنباط وفهم وتحديد بشري - من صاحب المقاربة -، قد يُوافق عليه وقد لا يُوافق³.

■ تحليل المتون التي تعرض الآراء العقدية والكلامية بالاعتماد الكلّي على نصوص الوحي دون استحضار للسياقات التاريخية (الثقافية والاجتماعية والسياسية) سيؤدي بنا إلى اختزال في التحليل، ذلك أنّ أسباب الاختلاف العقدي لا تنشأ في المستوى تصوّري والإدراكي الذي يتعاطى مع

¹. حُصِّص فصل في نهاية الكتاب بعنوان مقالات في أصول الإيمان، ومن ضمن هذه المقالات مقال بعنوان: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، حاول فيه تفسير هذا الحديث المروي عن الرسول ﷺ، لكن أهم ما يلاحظ في هذا التفسير أنّه حاول قدر المستطاع أن يتخلّص من الذاتية باعتبار مذهب الكاتب (المذهب الإباضي)، فقد تناول في هذا المقال أنّ ما يُقْتَضَى ممن يقول (لا إله إلا الله) أنّه لا يزني ولا يسرق، وإن أغواه الشيطان - لا قدر الله - وفعل ذلك وزنى أو سرق، فإن ما يُقْتَضَى ممن يقول (لا إله إلا الله) بعد فعل ذلك، أن يتوب، ويؤوب وينيب إلى الله تعالى، لكن السؤال: ماذا عن من يقول لا إله إلا الله بلسانه فقط ولكنه يزني ويسرق ثم يموت مصرّاً على ذلك دون أن يتوب؟؟ صحيح أنّ المقال لم يتناول هذا التساؤل حتى لا تشغل العقول بالتصنيف والجدل ممّا سيعيق مقصد تأليف هذا الكتاب، بل وجّه قلمه الأدبي المؤثّر إلى العلاج والحلّ العملي الذي يتفق الكلّ على ضرورته ووجوبه ألا وهو التوبة، ولكن هذا التساؤل يفرض نفسه بالقوة، فأهمية سؤال المصير في نفس درجة أهمية سؤال المقتضى أو المدلول من قول لا إله إلا الله. انظر مُجَدُّ بابا عمّي ومصطفى وينتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 147 - 148 - 149.

* - البرادايما أو البرادايغم تعريب لكلمة paradigm، كلمة مأخوذة من الأصل اليوناني paradeigma وتعني مثلاً أو نموذجاً pattern. انظر: منير البعلبكي، المورد قاموس إنجليزي عربي، دون ناشر، دون طبعة، ص 656، والمقصود بالبرادايما النموذج المعرفي، وقد تناولنا تعريفه سابقاً، عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، مرجع سابق، ص 277، وانظر كذلك: عبد الكريم بكار، تكوين المفكر، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2010، ط 1/ص 48.

². جاسم سلطان، النسق القرآني ومشروع الإنسان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2018، ط 1/ص 09.

³. من بين الاعتراضات التي تتماشى مع هذا العنصر الأخير هو ما أورده الباحث مُجَدُّ طبّاخ في بحثه بعد أن نقد هذه المقاربة بقوله: «ما وجب أن نؤمن به ليس محصوراً في القضايا الست، بل أكثرية القرآن عقائد عرضتها الآيات البيّنات، وقد أمرنا القرآن الكريم أن نؤمن بالآيات المحكمات كلّها بما تضمنته من تشريع واعتقاد وسنن وقصص وغيرها، ولهذا فرأى صاحب المقاربة، أن ما وجب به الإيمان هو الأركان الست يحتاج إلى إعادة نظر»، انظر: مُجَدُّ طبّاخ، الوحدة العقدية وأثرها في تماسك المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 265.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

النّص فقط، وإنما الأحداث الإنسانية تساهم بشكل كبير في بلورة هذه الآراء فالعلاقة تتّسم بالجدلية بين النص والواقع، وبالحركية والانتقالية بين المبدأ وتحليلاته على بساط الزمن¹.

المطلب الثاني: علم الكلام ومعضلة المنهج:

الفرع الأول: إشكالات منهجية في العقيدة وعلم الكلام:

القاعدة العملية تقرّر أنّه «إذا كان إدراك الحقيقة على ما هي عليه في الواقع علما، فإن المنهج المتخذ إلى ذلك الإدراك ينبغي - بلا ريب - أن يكون هو الآخر علما»²، وإذا أقررنا كذلك بأن المتون العقدية للفرق الإسلامية، وما أنتجه العقل الإسلامي من التراث الكلامي، هي عبارة عن تفاعل هذا العقل مع النص المصدري، والنص كما أقررنا سلفا لا ينطق بنفسه، وإنما يُستنتق من خلال المنهج والذي هو نحت بشري³.

لذلك يضع الكاتب يده على القصور المنهجية الذي شاب علم الكلام، وقد خصّص مبحثا مستقلا عنونه بـ: (الإيمان ومعضلة المنهج) وقد استشكل فيه عدة أسئلة وطرح عدة إشكالات فيما يخص قضية المنهج، ومن بين هذه الأسئلة ورد ما يلي⁴:

○ هل مناهج الاستدلال في العقيدة يقينية كلّها؟، أم البعض يقيني والبعض الآخر ظني؟، وكيف يمكن التمييز بينها؟

○ بل ما هو المنهج الذي نحكم به على المنهج، وهل القول بهذا يعني بضرورة التسلسل والتسلسل باطلا عقلا وضرورة كما هو معلوم.

○ هل نحكم على رأي (فرقة، مذهب، اختيار عقدي ...) بناء على المنهج الذي اختاره وصرّح به؟ أم إلى المنهج الذي ارتضيناه نحن المخالفون له في الرأي.

ومثال على ذلك مثلا قضية رؤية الله - بين الإثبات والنفي - فالاختلاف القائم في تحديد المراد من الرؤية، بين الاعتقاد الجازم بكونها رؤية غير مؤدية للتشبيه، واعتبارها خاصة بما يليق بذاته تعالى عند من يثبتها،

¹. يعالج الدكتور لؤي صافي علاقة العقيدة بالسياسة ويعطي أهمية كبيرة لهذه الأحداث في بلورة الآراء العقدية، وإن كان كتابه يتعلّق بتحديد المعالم النظرية للدولة الإسلامية، فهو كتاب للتنظير السياسي بدرجة أولى وليس العقدي، إلا أنه تناول قضية العلاقة الجدلية بين العقيدة والسياسة في مواضع كثيرة من كتابه، فكما أن التنظير السياسي لا يستطيع أن ينفك تمام الانفكاك عن التنظير العقدي، كذلك يمكن ضجّ مثل هذه الطروحات في المجال العقدي للاستفادة منها. لؤي صافي، العقيدة والسياسة، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المرجع السابق، ص 36، 41، 45، 51.

². مُجّد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1982م، ط 08/ ص 31.

³. جاسم سلطان، النسق القرآني ومشروع الإنسان، المرجع السابق، ص 09.

⁴. مُجّد بابا عمي، مصطفى وبتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 72، 73.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

وأما لا تكون عند من ينفىها بناء على اعتبار الرؤية بالمعنى الحقيقي المعهود، فنجد أن محلّ الاختلاف غير متحد، مما يمنع المقارنة أصلاً، ويمنع من استنتاج نتيجة في حق أحد الأطراف، فعدم تحكيم منهج كل طرف في استنباط العقيدة من النص يؤدي إلى الحكم على الآخر، وإلزامه بلزوم هو لا يصحّح به أصلاً، فالقائل بالرؤية يتهم الآخر بأنه معطل للصفات والآخر ينفي عنه هذه التهمة، ويتهم الآخر هو كذلك بأنه مجسم، وتفرّع المتون والمدونات العقدية محاولة اظهار وجهة نظرها على أنّها الحق المطلق ووجهة نظر غيرها باطل مطلق.

- إذا تسرّب الظنّ إلى نصّ (آية - حديث) بوجه من الوجوه، فهل نقطع عذر المخالف، لمجرد أنّه خالفنا في المنطلق، أي في المنهج
- ما هو الحدّ الفاصل في العقيدة بين القطعي والظنيّ بين ما يقطع فيه عذر المخالف و ما لا يقطع، بين ما يجوز فيه الاختلاف ويوسّع فيه، وما لا يجوز فيه الاختلاف وبضيّق فيه.
- ما أثر خبر الآحاد في العقيدة، وهل يؤثّر الاختيار المنهجي كلية في المنحى العقدي، وما هو الأساس المنهجي الذي بني عليه الاختيار، وهل نرتب على الخلاف أحكاماً تفسيقية، تكفيرية، وأحياناً تشريكية ولا نجد حرجاً في ذلك.

نجد هذا القلق في عدم ضبط المنهج للاستدلال في العقيدة عند سيد قطب - رحمه الله - حيث يقول: «ولما كانت هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة، وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية (البشرية!)، فقد بدتْ (الفلسفة الإسلامية) - كما سميت - نشازاً في لحن العقيدة المتناسق، ونشأ من هذه المحاولات تخليطٌ كثير، شاب صفاء التصور الإسلامي، وصغر مساحته، وأصابه بالسطحية. ذلك مع التعقيد والجفاف والتخليط ..، مما جعل تلك (الفلسفة الإسلامية) ومعها مباحث (علم الكلام) غريبة غربة كاملة على الإسلام، وحقيقته، ومنهجه، وأسلوبه»¹

وهناك من حصر سمات² مناهج المتكلمين في عناصر:

■ السمة الأولى: تغليب الجانب النظري في العقيدة على حساب الجانب العملي مثال: حديث النزول

¹. سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، مصر، دون طبعة، ص 11

². محمد عياش الكبيسي، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، مطبعة الحسام، بغداد، ط01/ص 53 - 68

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

- السمة الثانية: قصر المباحث الاعتقادية على طائفة من الناس، فلغته تكاد تكون مفهومة للمتخصّصين فضلا عن عامة الناس، عكس المنهج القرآني تماما فمن سماته كون عقيدته عقيدة الأمة كلّها وهم الإنسان أيا كان في أي زمان ومكان.
 - السمة الثالثة: النقص وعدم الشمولية، فمعظم كتب العقائد وأصول الدين لم تتناول أهم القضايا: كمبحث وجوب إفراد الله في حق التشريع والحكم، وجوب إفراد الله في العبادة والطاعة، مبحث إعجاز القرآن، مبحث صفات الجنة والنار وما يتعلّق بهما .. إلخ
 - السمة الرابعة: الزيادة، وهي أن الكثير من المباحث الاعتقادية أو المرتبطة بمسائل العقيدة في كتب المتكلّمين لا وجود لها في نص الوحي
 - السمة الخامسة: الفصل بين مسائل العقيدة ومسائل الشريعة
 - السمة السادسة: الأسلوب الصعب الذي يعدّ ظاهرة بارزة في أغلب كتب المتكلّمين
- وأهم الآثار¹ التي ترتبت على مناهج المتكلمين:
- على المستوى الخارجي: حققوا نجاحات كبيرة في صدّ الغزو الخارجي، فكلّما هبت أعاصير غازية إلا وتردّ خائبة كآثار الفلسفات اليونانية والهندية الشرقية والأفكار الباطنية إلخ
 - على المستوى الداخلي: أضرّ أكثر مما نفع لأنه مزّق الأمة، وفرّقها طرائق قددا وأصبح كل رأي يصف الآراء الأخرى بأبشع الصفات فالمعتزلة مثلاً لُقّبوا بمخانيث الفلاسفة والأشاعرة بمخانيث المعتزلة إلخ.
- نعود إلى كتابنا² مرّة أخرى، يخصّص فيه فصلا بعنوان: أخطاء في المنهج من مصادر علم الكلام، حصر فيه 47 خطأ - حسب رأيه - في المنهج في علم الكلام، وهي كالاتي:

¹. نفس المرجع، ص 69 - 73

². مُجَدِّ بابا عَمِّي ومصطفى وبتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 118

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

- (1) ادعاء أنّ الآخر المخالف بالضرورة على خطأ
- (2) الادعاء أنّ ما معي من الأدلة قطعي، وأنّ ما جاء به غيري واه وضعيف
- (3) ادعاء تطابق التفسير مع النص الأصلي
- (4) استحلال الدم بسبب خلاف كلامي
- (5) الاستدلال بأحاديث ضعيفة، أو موضوعة.
- (6) استعراض الآخر ليكون له نفس رأيك
- (7) استعمال المسائل التاريخية، أو الفرعية في الجدل والبحث عن الفرقة الناجية:
- (8) أسلوب التصيّد والتبشير بضلال الغير
- (9) اشتغال الناس بتصنيف المكلفين حسب تقواهم بأعيانهم
- (10) إطلاق الأحكام والأوصاف التبديعية، وجعلها أساسا للعقيدة:.
- (11) اعتبار المنطق الأرسطي معيارا للاستدلال، والوقوع في التناقض
- (12) اعتقاد مسائل تفتح منافذ للشكّ في عدل الله تعالى
- (13) اعتماد أقيسة فاسدة
- (14) الإلزام المرفوض عقلا وشرعا ومنهجيا، بما لم يصرح به الخصم:
- (15) الانتساب إلى القرآن والسنة مع نفيه عن المخالف
- (16) تدخّل الإنسان وفكره في مجال الغيب:
- (17) تسوية الموحدين بالكفار في الرأي وفي الحكم
- (18) التسوية بين الموحّد والمشرک في حکم أو صفة
- (19) تشبيه الآخر المسلم بغير المسلم
- (20) التصريح بالشرك في حقّ المسلم
- (21) التعصّب لإمام من أئمة المسلمين على حساب غيره من الأئمة
- (22) تعلّم العقيدة بمنهج تعلّم الهوايات، وعدم اعتبارها فتّا له أصوله.
- (23) التقارب بين المذاهب الإسلامية مستحيل
- (24) تكفير الآخر وإخراجه من الملة لخلاف في مسائل علم الكلام الفرعية
- (25) تكفير المتأوّل المخطئ التأويل في نظرك
- (26) تنصّل الدولة من رعية التدين الشخصي لدى مواطنيها مورث للشقاق
- (27) توظيف الحكم باعتماد الآية في وصف الآخر بالضلال
- (28) توظيف مصطلحات لها مفاهيم كونية مخالفة لمنظومة الإيمان
- (29) الجدل مع عدم اتحاد محل الاختلاف
- (30) جعل العقل أساسا للحكم على القرآن، لا القرآن أساسا للحكم على العقل
- (31) جعل المثال دليلا أو حكما على الآخر
- (32) جعل الهلاك مقصدا للشارع، بخاصة لأمة الوحي المؤمنة به
- (33) حشر مسائل من السياسة الشرعية تحت مسمّى التوحيد، بخاصة مسألة الخروج على الإمام حرمة وجوازا ووجوبا.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

- 34) الحقّ واحد مع واحد، لا اختلاف حوله.
 - 35) سوء التعليم، وبخاصة التعليم الشرعي أكبر هادم لوحدة الأمة
 - 36) صياغة فروض بعيدة، لا دليل عليها
 - 37) عدم الثبّت فيما ورد عن الغير، بخاصة إذا كان متبوعاً بحكم تكفير أو تفسيق أو تشريك
 - 38) عدم الثبّت، ورمي الرواة الذين رووا أحاديث تخالف رأيك بما لا يليق
 - 39) عدم التوقّف فيما لا يدركه العقل من أمور الغيب، والقول فيه بلا دليل قطعي.
 - 40) غياب المدخل الفكري في الدّرس العقدي صيّرهُ مفصولاً عن واقع الإنسان المسلم
 - 41) فصل الوحدة عن التوحيد انحراف في المنهج والعقل:
 - 42) الفصل في حفظ الله تعالى للعقيدة، وحفظه للقرآن الكريم
 - 43) مخاطبة الناس بما لا يفهمون:
 - 44) مخالفة القاعدة التي تقرّ بها مذهباً، وتطبيقها على غيرك سلباً وعلى رأيك إيجاباً.
 - 45) المصادرة على المطلوب.
 - 46) نقل أخبار فيها خدش لكرامة ملك، أو نبي، مما هو غيب.
 - 47) نقل معلومات عن الغيب مما لم يرد به نص قطعي، تجوّزاً وطلباً لمعرفة ما سكّته عنه الشرع.
- سنختار بعض من هذه العناصر ونحاول أن نبحث عن هذه الأخطاء في المصادر الكلامية ونسقطها على هذه العناصر:

الخطأ 01: ادعاء أنّ الآخر المخالف بالضرورة على خطأ: مثال ذلك ما جاء عند الشيخ المجدد بن يوسف اطفيش: «فنقول معشر الإباضية الوهبيّة: الحقُّ ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا؛ لأنَّ الحقَّ عند الله واحد. ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ، ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق»¹

الخطأ 02: الادعاء أنّ ما معي من الأدلة قطعي، وأنّ ما جاء به غيري واه وضعيف: نجد مثل هذا عند القاضي عبد الجبار عندما تحدّث عن أدلة مثبتي الرؤية والحديث الذي يستدلّون به على رؤية الله يوم القيامة فهو إمّا يردّه كلىّة أو يؤوِّله: «ومما يتعلّقون به أخبار مروية عن النبي ﷺ وأكثرها يتضمن الخبر والتشبيه، فيجب القطع على أنه ﷺ لم يقله، وإن قال فإنّه قال حكاية عن قوم والراوي حذف الحكاية ونقل الخبر»³

الخطأ 07: استعمال المسائل التاريخية، أو الفرعية في الجدل والبحث عن الفرقة الناجية: وقع الإمام الشهرستاني في هذا الجدل وهو محاولة تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية، وأقرّ بأنّ كتاب المقالات الذين سبقوه لم يقوموا بعملية الضبط المنهجي في تعيين قانون يبنى عليه تعداد هذه الفرق فحاول هو واجتهد في وضع قانون لذلك، وحصر المتون العقدية في أربع قواعد

✓ القاعدة الأولى: الصفات والتوحيد فيها ثمّ يفصل بعد ذلك في المسائل المتفرّعة عنها

✓ القاعدة الثانية: القدر والعدل فيه ثمّ يفصل بعد ذلك في المسائل المتفرّعة عنها

✓ القاعدة الثالثة: الوعد والوعيد والأسماء والأحكام ثمّ يفصل بعد ذلك في المسائل المتفرّعة عنها

✓ القاعدة الرابعة: السمع والعقل، والرسالة والإمامة ثمّ يفصل بعد ذلك في المسائل المتفرّعة عنها

ثم يقرّ بعد ذلك أنّ أيّ واحد من الأئمة إذا انفرد بمقالة من هذه القواعد، عدّت مقالته مذهباً وجماعته فرقة، وبناء على هذا المنهج الذي حدّده بيّن أنّ كبار الفرق هي أربع: (1) القدريّة (2) الصفاتية (3) الخوارج (4) الشيعة.

«ثمّ يتركّب بعضها مع بعض، ويتشعّب عن كلّ فرقة أصناف، فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة»⁴ والنقطة المثارة في منهج الإمام الشهرستاني هي أنّه انطلق من حديث افتراق الأئمة كمبدأ لتعداد هذه الفرق دون أن يثير أي تساؤل

¹. اطفيش محمد بن يوسف، الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد منشور ضمن كتاب كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب

ترتيب: أبي الوليد سعود بن حميد بن خليفين المضيري، تحقيق: محمد علي الصليبي نشر: وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1985م-1986م، ج1/ص25، نقلته من المكتبة الشاملة الإباضية، الإصدار الخامس، 2017

². يقصد به الحديث المروي عن النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته»، صحيح البخاري، كتاب التوحيد،

باب: قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط 1/ج 09/ص 127/رقم 7436

³. القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، دون تاريخ نشر، دون طبعة، ص 268

⁴. أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1968،

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

حول هذا الحديث¹ فهو بمثابة الإطار المنهجي له²، وهو بهذا يقرّر نقطتين أساسيتين أحدهما: أنّ الحق لا يكون إلا مع واحدة من هذه الفرق وهي الفرقة الناجية، وهي أهل السنة والجماعة³ وثانيهما أنّه حرص على ضبطها وتعدادها وإحصائها وإيصالها إلى العدد المطلوب⁴، ووضح في مسألة تعيين الفرقة الناجية انخيازه للمذهب الأشعري بعد أن تحدّث عن الصفاتية أو السلف تدرّج تدرّجا مرنا عبر كتابه في تسمية هذه الفرقة ليصل بها إلى أحسن الأسماء (أهل السنة والجماعة) وذلك ليربط هذه الفرقة التي ينتمي إليها بحديث رسول الله ﷺ حيث ذكر الذي ذكر فيه أنّها الفرقة الناجية⁵: «وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة (السلف)، فأيد مقالتهم بمنهج كلامية، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية»⁶

الخطأ 10: إطلاق الأحكام والأوصاف التبديعية، وجعلها أساسا للعقيدة: يقول الإمام أحمد عن الجهمية بعد أن فنّد آراءهم في قضية نفي رؤية الله ﷻ يوم القيامة: «وإنّا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحبون عن الله، لأن الله قال للكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ {المطففين 15} فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟ والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده»⁷، فالإمام أحمد لم يكتف بالردّ على الجهمية، وتبديعهم، وإنّما دعا عليهم، ورجى أن يكونوا ممن لا ينظرون إلى الله ويحبون عنه، ليس تساوقا وتماشيا مع رأيهم في المسألة، وإنّما لحشرهم - أقصد الجهمية ومن يرى رأيهم في نفي الرؤية - في زمرة الكافرين الذين يُحبون عن ربهم، إستنادا إلى الآية ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ {المطففين 15} رغم أنّ هذه الآية لها وجه آخر ودلالة أخرى في التفسير، كلّ هذا لتنفير القارئ من هؤلاء، فمن ذا الذي يريد أن يكون من المبتدعة ومن المحجوبين عن ربهم !!، كما أنّ لفظة (الحمد لله) التي صدرت من الإمام أحمد لها دلالة نفسية، كما لو أنّه نجا من خطر أو شرّ محقق. وهذا يبيّن كيف أنّ هذه الآراء التي هي من الفرعات كيف استولت على العقول والأفئدة

¹. خصّصنا مبحثا مستقلا في هذا الفصل عن حديث الفرقة الناجية، وسيأتي لاحقا

². فرحات الجعيري، السبيل إلى وحدة الفرق الإسلامية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2014، ط1/ ص 55 (ملاحظة: النسخة التي حصلت عليها من هذا الكتاب لا يوجد توافق بين الفهرس والصفحات المقابلة لها للموضوع، لذلك رقم الصفحة الذي أشرت إليه نقلته مباشرة من المتن وليس من الفهرس)

³. أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، المصدر السابق، ج1/ص11

⁴. فرحات الجعيري، السبيل إلى وحدة الفرق الإسلامية، مرجع سابق، ص31

⁵. فرحات الجعيري، السبيل إلى وحدة الفرق الإسلامية، مرجع سابق، ص 83

⁶. أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، المصدر السابق، ج1/ص 93

⁷. علي سامي النشار، عمار الطالبي، عقائد السلف للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي، منشأة المعارف، الإسكندرية،

مصر، 1971، ص 87

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

وأصبحت من مرتكزات العقيدة وأساسياتها !!، لكن لا يمكننا اصدار حكم في حقه ما لم نقرأ كيف أثار المخالفون لرأي الإمام أحمد قضية نفي الرؤية، فرما يكون موقفه ردّ فعل عن موقف متعصب من الجانب الآخر أيضا.

وجاء عند الإمام ابن تيمية أيضا في رده على الأشاعرة والمعتزلة: «وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ مَعْرِفَةَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَبَصَرًا نَافِذًا وَعَرَفَ حَقِيقَةَ مَا أَخَذَ هَؤُلَاءِ عِلْمَ قَطْعًا أَنَّهُمْ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ وَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالرُّسُلِ وَبِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلَ بِهِ رُسُلُهُ؛ وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الْبِدْعَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْكُفْرِ وَآيِلَةٌ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ مَخَانِئُ الْفَلَسَافَةِ؛ وَالْأَشْعَرِيَّةَ مَخَانِئُ الْمُعْتَزِلَةِ. وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ يَقُولُ: الْمُعْتَزِلَةُ الْجَهْمِيَّةُ الذُّكُورُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ الْجَهْمِيَّةُ الْإِنَاثُ. وَمُرَادُهُمُ الْأَشْعَرِيَّةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مِنْهُمْ بِكِتَابِ " الْإِبَانَةِ " الَّذِي صَنَفَهُ الْأَشْعَرِيُّ فِي آخِرِ عُمُرِهِ وَمُ يُظْهِرُ مَقَالَةً تُنَاقِضُ ذَلِكَ فَهَذَا يُعَدُّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لَكِنَّ مُجَرَّدَ الْإِنْتِسَابِ إِلَى الْأَشْعَرِيِّ بَدْعَةٌ»¹

الخطأ 16: تدخل الإنسان وفكره في مجال الغيب: ومثال ذلك حديث النزول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي؟ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ فَأَغْفِرُ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيهِ»² هذا الحديث فيه جانبان: الأول غيبي نظري يكفي فيه التصديق والثاني تطبيقي عملي، يبحث المسلمون على قيام الليل وخاصة في الثلث الأخير منه لكن المتكلمين خاضوا في الجانب الأول أيما خوض وألّفوا في كيفية النزول الصفحات العديدة، فقد ألّف في ذلك الإمام الدارقطني كتاب النزول³ وكذلك الإمام ابن تيمية كتاب شرح حديث النزول⁴، فقد أسهب في شرح هذا الحديث في الجانب الغيبي فيه وهي صفة النزول محاولا

¹. تقي الدين ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1995، ج6/ص359

². **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422 هـ باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، ج2/ص53/رقم 1145، **صحيح مسلم**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ج1/ص521/رقم 758، **موطأ مالك**، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان عام النشر: 1406 هـ - 1985 م، باب ما جاء في الدعاء، ص 214/رقم 30، **مسند أحمد**، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، **مسند أبي هريرة**، ج13/ص61/رقم 7622، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي باب ما جاء في ساعات الليل أفضل، ج1/ص435/رقم 1366، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، باب أي الليل أفضل، ج2/ص34/رقم 1315

³. أضيف إليه كتاب الصفات، للمؤلف نفسه، وطُبع في مؤلّف واحد، حققهما علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى، 1983

⁴. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **شرح حديث النزول**، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1993، ط1/ص67

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

إثبات صفة النزول دون تشبيهه، وفي نفس الوقت ردًا على من يعطلون هذه الصفة - حسب رأيه - ولو أنّ هذه الطاقة الفكرية استثمرت في الانتفاع بثمار هذا الحديث بالحثّ على قيام الليل، واستثمار البعد الروحي فيه لكان أفضل !!

الخطأ 21: التعصّب لإمام من أئمة المسلمين على حساب غيره من الأئمة: هذا المثال الذي سنذكره وإن كان لا يتعلّق بعلماء علم الكلام ولكن درجة التعصّب فيه وصلت لدرجة اختلاق أحاديث تُسبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتبجيل أحد الأئمة على حساب آخر، وهذا ما فعله بعض الحنفية حين اختلقوا أحاديث مثل: «يَكُونُ فِي أُمِّي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ إِدْرِيسَ هُوَ أَضْرُّ عَلَيَّ أُمِّي مِنْ إِبْلِيسَ، وَيَكُونُ فِي أُمِّي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ هُوَ سَرَجُ أُمِّي»¹ «سَيِّئَاتِي مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ التُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَيَكُنِّي أَبَا حَنِيفَةَ لِيَحْيِيَنَّ دِينَ اللَّهِ وَسُنَّتِي عَلَى يَدَيْهِ»²

وجاء كذلك في شأن الإمام أحمد بن حنبل ما يلي: عن عليّ بن المديني يقول: «إن الله عزّ وجلّ أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة».

وجاء عن عليّ بن المديني كذلك: «ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما قام أحمد بن حنبل قال: قلت: له يا أبا الحسن ولا أبو بكر الصديق قال: ولا أبو بكر الصديق لأن أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب»³

الخطأ 24: تكفير الآخر وإخراجه من الملة لخلاف في مسائل علم الكلام الفرعية: جاء في مشارق أنوار العقول لنور الدين السالمي في حكم من يعتقد برؤية الله: «اعلم أنّ معتقدي الرؤية صنفان: أحدهما: قالوا: إن الله تعالى يرى في الدنيا والآخرة كلّ وليّ شاء الله أن يراه وهؤلاء مشركون لمصادمة الكتاب.

وصنف منهم خصوا الرؤية في الدنيا لمحمد ﷺ وهؤلاء منافقون لتأولهم الكتاب بحديث وضع لهم أن محمداً ﷺ رأى ربّه ليلة الإسراء فخصصوا بهذا الحديث قوله تعالى ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ {الأنعام 104} وهذا التخصيص باطل

¹. مُجَدَّ عجاج الخطيب السنة قبل التدوين، أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان 1980م، ط3/ص210، نقلته من المكتبة الشاملة، وأعدّه للمكتبة الشاملة: توفيق بن مُجَدَّ القرشي

². نفس المصدر، ص210

³. مُجَدَّ أبو الحسين ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، تحقيق: مُجَدَّ حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ج1/ص227

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

لأن هذا الخبر خبر آحاد لا يثبت به الاعتقاد ان لو صحَّح عن رواية وفي كتاب الجهالات ما معناه (أن من قال أنّ مُحمَّدًا رأى ربّه فهو مشرك)¹ وعليه فكأنّه لم ير تأويلهم هذا شيئاً يخرجون به عن مصادمة النص.

والصنف الثاني من معتقدي الرؤية قالوا: إن الله لا يرى في الدنيا أصلاً لا لولي ولا لني وإنما يرى في الآخرة خاصة وهؤلاء أيضاً صنفان:

أحدهما: قالوا إنه يرى في الآخرة في جهة وحيز له جسم ووجه ويد كأجسامنا وأوجهنّا وأيدينا وهؤلاء مشركون لمساواتهم ربهم بخلقه فهم يعبدون صنما يزعمونه ربا

وثانيهما: تستروا عن هذا التشبيه فقالوا نراه في الآخرة بلا كيف أي بلا هيئة، ولا حالة نكيفها وهذا فرار من صريح التشبيه مع الوقوع فيه معنى.... وزيادة بلا كيف لم يبق عليها دليل من كتاب ولا سنة ... وحكم هؤلاء عندنا أنهم منافقون لتأولهم الكتاب وتعلّقهم به وذلك أنهم تأولوا قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ {الأنعام 104} بنفي الإدراك في دار الدنيا لقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ {القيامة 22 - 23} «²

نلاحظ في هذه الأمثلة درجة التعصّب، وأساليب هؤلاء العلماء، في الردّ أو الحكم على المخالف في الرأي والمذهب، وقد تختلف أساليبهم في الحدة ودرجة التعبير عن الحكم بين تفسيق وتبديع وتكفير، ولم يسلم أو يشدّ عن هذا فرقة ولا مذهب، فإذا كان هذا ديدن العلماء ومنهم المؤسسون الأوائل (كما رأينا مع الإمام أحمد بن حنبل بالنسبة لأهل السنة والقاضي عبد الجبار بالنسبة للمعتزلة)، فكيف إذن بالأتباع والمقلّدين؟؟، وربما هذه أهم نقطة سلبية تلاحظ على مناهج علماء الكلام.

لكن حتى نكون منصفين كذلك فلا نبخس علم الكلام حقّه، ونجعل في خانة العلم الضارّ غير النافع، علينا أن نضعه في إطاره التاريخي، وهناك ضرورات حتمتها الظروف التاريخية دعت العلماء للخوض فيما لم يخض فيه السلف، لكن هذه الضرورة يجب أن تقدّر بقدرها، فلا نشغل الأمة كلها في مسائل نظرية فلسفية، تاركة واجباتها الأساسية، كما أنّ عصر الضرورة عندما ينتهي علينا أن نرجع إلى الأصل ولا نسترسل مع تلك القضايا، لأنه يبعدنا عن عقيدة الوحي الصافية، ويجعلنا بعيدين عن تحدّيات وشبّه العصر، وهناك الكثير من الآثار الجانبية لا يمكن أبداً إغفالها تحققت بجهود من اشتغل بهذا العلم فقد حققوا نجاحات كبيرة في صدّ الغزو الخارجي، فكلّما

¹ . المشهور في هذا الحديث أنه ورد بلفظة (فقد كذب)، وليس (فهو مشرك)، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، رقم 4855، كتاب التوحيد 7380، وقد وجدت هذه الملاحظة في تهميش الكتاب ولا أدري هل هي للمؤلف أم للمحقّق، لأن المؤلف أيضاً نقل هذا الحديث من كتاب الجهالات حسب زعمه.

² . أبو مُحمَّد عبد الله السالمي، مشارق أنوار العقول، تصحيح وتعليق: أحمد بن حمد الخليلي، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه: عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، لبنان، ج 1/ص 392. 393. 394.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

هبت أعاصير غازية إلا وتردّ خائبة كآثار الفلسفات اليونانية والهندية الشرقية والأفكار الباطنية...¹، كذلك ما أحدثه علم الكلام من توسيع كبير في دائرة المعارف الإسلامية، من إلمام بالفلسفات وعلوم الأمم المجاورة، ودرس لغاتهم، واختلافاتهم والتعرّف على حضاراتهم، والربط بين علم الكلام والعلوم الدنيوية النافعة كالفيزياء والفلك كلّ هذا يُجسب للتراث الكلامي، ومن محاسنه²، أمّا فيما يتعلّق بالأحكام المتضادة التي ورثها أتباع الفرق عن بعضهم البعض، وجب التخفيف من حدّتها والتخلّص منها، وهذا لا يتأتّى إلا بالحوار والتواصل بين الفرق وتثمين وتعزيز المتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

الفرع الثاني: مقاربات لمعالجة مشكلة المنهج في علم الكلام

الدكتور مُجّد بابا عمّي هو رجل فكر، دائما يعالج القضايا التي تشغله من هذه الزاوية - زاوية الفكر - لذلك هو يقترح المدخل الفكري كحلّ لمعالجة معضلة المنهج في العقيدة فيقول في كتابه: «معالجة معضلة المنهج في العقيدة، من مدخل فكري، لها أهميتها الخاصة، ولها من يتخذها مصدرا، ويشكّل قناعاته بناء عليها، إلّا أنّ المعالجة الفكرية ذاتها تبقى بعيدة كلّ البعد عن حقل التخصص، وعن أهل الفنّ، وعن صفوف العقيدة في الجامعات وعن مؤلفات علماء الكلام المنشورة هنا وهناك، وبالتالي فأثرها محدود جدّا، وقد لا تؤتي ثمارها المرجوة في السياق الذي ألّفت له»³، ثم يقترح بعض الأسماء والأعلام التي برزت في سماء الفكر الإسلامي، والتي بنى بها نموذج الرشد الذي تناولناه سابقا بناءه الفكري، لحلّ معضلة المنهج: «فمثلا، لو قرأنا لمحمد إقبال كتاب (تجديد الفكر الديني)، أو لمالك بن نبي (وجهة العالم الإسلامي)، أو لعبد الوهاب المسيري (اللغة المجاز)، أو لعلي عزت بيغوفيتش (الإسلام بين الشرق والغرب)، أو لمراد هوفمان (خواء الذات)... فإننا سنخرج بذخيرة معتبرة من المنهج، الذي يشكّل خلفية معتبرة للعقيدة وعلم الكلام، للإيمان والتوحيد باعتبارهما علما، وباعتبارهما واقعا معاشا، إلّا أنّ هذه المصادر، وهي أساسا مصادر منظومة الرشد، تعدّ في الوعي العام - للمسلمين اليوم - مجرد بحوث فكرية مستقلة عن التخصص، ولا يهتمّ بها إلّا خاصّة الخاصّة من طلبة العلم المشتغلين بالفكر والفلسفة، وذلك رغم أنّ هذه المصادر الفكرية حلّت عقدا كثيرة، يمكن أن نتخذها منطلقا لحلّ إشكالات عميقة في تراثنا الكلامي، من مثل عقدة "اللفظية" و"الذرية"، و"ثنائية الروح والمادة" و"العلاقة بين الفكر والفعل" و"فقه

¹. مُجّد عياش الكبيسي، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، المرجع السابق، ص 69

². المرجع نفسه، ص 73

³. مُجّد بابا عمّي ومصطفى وبتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 75

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

التحيز" و"مشكلة الحدّ الفاصل"، و"التحليل بالنماذج" إلا أنّ مثل هذه المقدمات المنهجية تركز في جزيرة، والدرس العقدي يركز في جزيرة أخرى، نائية، لا جسر يصل بينهما¹

في هذا العنصر من بحثنا سنحاول أن نعوص في بطون هذه الأسفار الفكرية المُفترحة، وسنأخذ مثالين من ذلك: كتاب وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبي وكتاب اللغة والمجاز لعبد الوهاب المسيري، محاولين ملاحظة ما يمكن ملاحظته فيما يخصّ منهج دراسة العقيدة وعلم الكلام

أولاً: مالك بن نبي* (وجهة العالم الإسلامي):

يتمثّل الجهد التجديدي لمالك بن نبي في مجالين: مجال الدراسات القرآنية من خلال كتابه الظاهرة القرآنية حيث أبدع منهجاً جديداً للبرهنة على أصالة الرسالة القرآنية، والمجال الثاني هو مجال النهضة²، ومن بين الكتب التي تناولت هذا المجال كتاب **وجهة العالم الإسلامي**، وما يمكن أن نستفيدة من هذا الكتاب، - ومن كل كتبه حقيقة - فيما يخص موضوعنا، هو أنّ نزعة التصنيف والإقصاء والتحزّب والتمذهب، التي تشعر بها أو يشتغل عقلك بالتفكير بها وأنت تقرأ كتب علم الكلام لن تجدّها في كتبه، وإنما هناك تذكير **بوحدة الانتماء**، و**وحدة المهام**، وعلى رأس هذه المهام مهمّة أداء الشهود الحضاري التي كلّفت بها أمة رسالة إقرأ، على الناس وعلى البشر، الذين نشترك معهم في الاستعداد الفطري، وامتلاك الضمير الديني لتلقّي الحقائق العلوية وامتثالها³، ولا حاجة هنا

¹. مُجّد بابا عتي ومصطفى وينتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 75

*. ولد المفكر الإسلامي مالك بن نبي في مدينة قسنطينة الجزائرية عام 1905، لأسرة متواضعة الحال، لكنها عميقة التدين، كانت حكايات جدّته وأحاديثها عن الاستعمار الفرنسي وجرائمه، هي السبب في تمسّكه واعتزازه بدينه وعقيدته الإسلامية، جمع مالك بن نبي بين الدراسة في الكتاب وفي المدارس الفرنسية في صغره، هذا الازدواج في التلقّي مكّنه من الاطلاع على الثقافة الغربية، مع الاعتزاز التشبّث والتشبع بالروح الإسلامية، واصل دراساته العليا في فرنسا وتخرّج منها مهندساً في الكهرباء عام 1935، وفي عام 1956 رحل إلى القاهرة، حيث تعمّق في اللغة العربية، حيث كانت الفرنسية غالبية على لسانه وقلمه، وخصصت له القيادة المصرية هناك راتباً شهرياً مكّنه من التفرّغ للكتابة والمحاضرات خلال سبع سنين، وأثناء تواجده بمصر كانت الثورة الجزائرية قد اندلعت، وكان قلبه ووجدانه معلقاً بما فكّر قلمه لها، عاد مالك بن نبي إلى الجزائر عام 1963 حيث عيّن منصب مدير التعليم العالي، لكنّه استقال عام 1967، وتفرّغ للكتابة الفكرية، إلى أن وافته المنية سنة 1973، مخلفاً ثروة فكرية لا تقدّر بثمن، ولا نجد الآن مؤقراً أو ملتقى في النهضة والحضارة إلا واسم مالك بن نبي حاضر في المقدمة، من أهم أعماله التي تركها: الظاهرة القرآنية، وجهة العالم الإسلامي، شروط النهضة، ميلاد مجتمع، مشكلة الثقافة انظر: مُجّد بن المختار الشنقيطي، خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2018، ط 2/ ص 31

². هذا التقسيم لأعمال مالك بن نبي هو من الدكتور مُجّد بن مختار الشنقيطي، خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين، المرجع السابق ص 35، وإلا فإن مالكا يضع كتبه كلّها بما فيها الظاهرة القرآنية ضمن سلسلة مشكلات الحضارة حتى إن كتبه نُشرت بهذا الوصف.

³. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2016، ط 14/ ص 70

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

للتذكير بالنزعة الإنسانية للإسلام التي يتشدد علينا الغرب بها بل بالعكس هذا الأخير يمتلك «نزعة إنسانية أوروبية في الداخل، وإنسانية استعمارية من الخارج»¹

مهمة الشهود الحضاري لا يمكن أن يتمثلها المسلم مالم يشعر بوحدة العالم الإسلامي ووحدة المسلمين، وأن كل ما يحدث من أحداث في جميع نقاط محور طنجة - جاكرتا، من انتكاسات ونكبات وسقطات وهزائم حضارية يجب أن يكون من اهتمام المسلم، ويشعر بأنه مسؤول عنها - بطريقة أو بأخرى - والقضية الفلسطينية² على رأسها، والسؤال كيف يتأتى هذا الشعور ونحن نعيش في تفرق وتشردم؟، وحتى وإن عبرنا عن هذه المارّة هل نحن صادقون في مستوى التنظير أولا ثم في مستوى التدبير والتخطيط للخروج من هذه الوهن الحضاري ثانيا؟؟!! هذا عن وحدة الانتماء

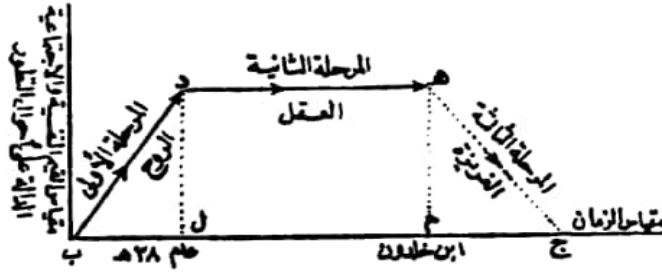
أمّا عن وحدة القضايا والمهام، فهي في فكر مالك بن نبي تتمثل في وجوب تصحيح مسار الحضارة الإسلامية، وإعادة ألقها من جديد، والتأثير في حركة التاريخ، استجابة لقول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ {آل عمران 110}، هذه الخيرية تتمثل في القيم التي منحتها الهداية الربانية، والفكرة الدينية التي شكّلت هذه الأمة من أجل الانطلاق وتوجيه حركة التاريخ وأداء الشهادة على الخلق ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ {البقرة 142}، وهذه هي المهمة أو الواجب - إذا أردنا أن نتحدّث بلغة أصول الفقه - الحضاري الأساسي للمسلمين، الذي شغل فكر مالك بن نبي، وإذا لم نردّ لهذه الفكرة الدينية ألقها ووهجها التاريخي فنحن نفتقر معصية حضارية تجب التوبة منها.

وقد أفنى حياته في دراسة مشكلات الحضارة. وقد كان مهموما بها، وهو عندما يعمل تحقيب للحضارة الإسلامية - حسب الدورة الحضارية التي كانت عبارة عن إطار منهجي لعمليته ولدراسته التاريخية -، يجعلها في ثلاث مراحل، وكلّ مرحلة فسرها حسب مقياس القيم الاجتماعية والنفسية الدالة على أحوال التطوّر: المرحلة الأولى مرحلة الروح، المرحلة الثانية مرحلة العقل، المرحلة الثالثة مرحلة الغريزة. وقد مثلها بالمخطّط الآتي:

¹ . مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2015، ط 10/ ص 20

² . يعتبر مالك بن نبي - في الفترة التي ألّف فيه الكتاب - الأزمة الفلسطينية نصرا سعيدا للواقع على الوهم، ذلك أنها - الأزمة الفلسطينية - ضبّطت بوصلة الاتجاه للعالم الإسلامي، وبرزت له قضية توقظه من سباته الحضاري ويعيش من أجلها، وهذا ما جعله يشيد بالاستعمار في بعض كتاباته باعتباره منبّه حضاريا، يقول في شأن القضية الفلسطينية: «لقد حرّرت هذه الهزيمة المباركة - أو بعبارة أدق ذلك النصر السعيد للواقع على الوهم - حررت العقول والضمائر التي كانت تخنقها الفوضى، فظهرت منذئذ طرق جديدة أمام الشعوب التي زلزلتها الأزمة فأيقظتها، وتبدّدت أوهامها فاتجهت عندئذ إلى الواقع المرير»، انظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 144

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة



مرحلة الروح: هي من لحظة غار حراء إلى واقعة صفين 38هـ ففي هذه الحقبة أو هذه المرحلة «كانت دينية بحتة يسودها عنصر الروح، حيث ظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيسي»¹، حيث أن الفكرة الدينية القرآنية كانت تتدقق على تلك المادة التاريخية - المجتمع الجاهلي - بعاداته وتقاليده وثقافته لإعادة تشكيله من جديد، وفق هذه القيم، من المظاهر التي تجلّى فيها قانون الروح هي أول فعل شرع فيه النبي ﷺ بعد الهجرة، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار²، كما أنّ قانون الروح هذا «نفسه الذي كان يحكم بلالا حينما كان تحت سوط العذاب يرفع سبابه، ولا يفتر عن تكرار قوله: "أحد!.. أحد!.."»³، كما أنّ صوت الروح هذا نفسه تجلّى في «تلك المرأة الزانية التي أقبلت إلى الرسول ﷺ لتعلن عن خطيئتها، وتطلب إقامة حدّ الزنى عليها» فالواقعتان الأخيرتان تخرجان عن معايير الطبيعة، وتدللّ على أنّ الغريزة قد كبّدت، غير أنّها قد ظلت محتفظة بنزوعها إلى التحرّر. وهنا ينشب الصراع المحتدم بين هذا النزوع وسيطرة الروح⁴

مرحلة العقل: هي من لحظة صفين إلى عصر ابن خلدون أي بداية القرن 9هـ / 15م تقريبا، ففي بداية هذه المرحلة وصل المجتمع الإسلامي الذي شكّله الفكرة الدينية ذروة تطوّره ونموّه، واكتملت شبكة روابطه الداخلية، فقانون الروح الذي ساد المرحلة السابقة، بدأ يفقد نفوذه وسيطرته على الغرائز، وبدأت تظهر (الحمية الجاهلية) مرة أخرى تطفو على السطح تصطرع مع (الروح القرآنية)، إلى أن بلغ هذا التوتر مرحلة الانفجار في واقعة صفين «فجاء معاوية رضي الله عنه فحطّم ذلك البناء الذي قام لكي يعيش، ربما إلى الأبد بفضل ما ضمّنه من توازن بين عنصر الروح وعنصر الزمن»⁵، فهو يعطي لهذه الواقعة مركزية كبيرة في أسباب انحراف مسار الحضارة الإسلامية يقول: «ولست أدري لماذا لم ينتبه المؤرّخون إلى هذه الواقعة التي حوّلت مجرى التاريخ الإسلامي»⁶، إذ أخرجت الحضارة

¹. مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2016، ط 14/ ص 58

². مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 52

³. مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 75

⁴. المرجع السابق، ص 76

⁵. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 29

⁶. هناك بعض الدراسات الحديثة الجادة التي تحاول تحليل تلك الأحداث وتعليلها، ليس لإعادة إحياء النعرات القديمة ولكن بغية فهم ما حدث من أجل تصحيح المسار من جديد، ومعرفة الأخطاء التي وقع فيها سلفنا الصالح حتى لا نكرّرها نحن، وهذه هي الوظيفة أو الثمرة الحقيقية لدراسة

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

الإسلامية إلى طور القيصرية الذي يسوده عامل العقل، وتزينه الأبهة والعظمة، في الوقت الذي بدأت فيه بوادر الفتور الدالة على أفول الروح»¹، وهذا المنعطف الحضاري الذي تمثل في استيلاء الأمويين على الحكم هو منعطف العقل، لكن هذا «العقل لا يملك سيطرة الروح على الغرائز ... كما أنه كفّ المجتمع عن ممارسة ضغطه على الفرد»²، وفي هذه المرحلة امتدّ اشعاع الفكرة الدينية باتساع رقعتها الجغرافية بما تبقى لديها من مخزون روحي، وبرزت في هذه المرحلة أسماء أضاءت تاريخ المعرفة الإنسانية «وبدأ العلم في تلك الحقبة ينتشر بفضل أساتذة سطعت أسماءهم في جوّ المعرفة، كالفارابي وابن سينا وأبي الوفا وابن رشد .. إلى ابن خلدون الذي أضاءت عبقريته غروب الحضارة الإسلامية في نهايتها»³، إلا أن هذه الحضارة الممتدة اختلّ فيها التوازن الروحي والمادي الذي بناه القرآن في المجتمع الإسلامي الأوّل - أي مرحلة الروح - يقول: «ومع ذلك فإن هذه الحضارة ليست - من الناحية العضوية التاريخية التي تهمّنا - سوى صورة مشوهة عن البناء الأصلي الذي شاده القرآن والذي قام على أساس من التوازن بين العقل والروح، أي على الأساس المزدوج الروحي والمادي، الضروري لكلّ بناء اجتماعي أهّل للخلود»⁴.

مرحلة الغريزة: وهي بعد عصر ابن خلدون، أو بعد سقوط الدولة الموحدية، ومالك بن نبي في تحليلاته الحضارية يرمز لإنسان هذه المرحلة - إنسان ما بعد الموحدين - ، ففي هذه المرحلة انحدر منحى الحضارة الإسلامية إلى القاع وفقدت الفكرة الدينية ألقها وتوهّجها الحضاري، فبرز الإنسان المنحلّ المفكّك اجتماعياً، القابل للاستعمار تجذبه طبيئته إلى الأرض ومعه انطفأ مصباح الحضارة الإسلامية في التاريخ «وإذا نظرنا إلى هذا الوضع نظرة اجتماعية، وجدنا أن جميع الأعراض التي ظهرت في السياسة أو في صورة العمران، لم تكن إلا تعبيراً عن حالة مرضية يعانيتها الإنسان الجديد - إنسان ما بعد الموحدين - الذي خلف إنسان الحضارة الإسلامية، والذي كان يحمل في كيانه جميع الجرائم التي سينتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل التي تعرض لها العالم الإسلامي منذ ذلك الحين. فالنقائص التي تعانيتها النهضة الآن، يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يكن طليعة في التاريخ، فنحن ندين له بموارثنا الاجتماعية، وبطرائقنا التقليدية التي جربنا عليها في نشاطنا الاجتماعي، ليس ذاك فحسب بل إنه يعيش إلى الآن بين ظهرانينا، وهو لم يكتف بدور المحرك الخفي الذي دفعنا إلى ما ارتكبنا من خيانة لواجبنا، وأخطاء في حق نهضتنا، بل لقد اشترك معنا في فعلنا، ولم يكتف بأن بلغنا نفسه المريضة التي خلقت في جوّ يشيع فيه

التاريخ، من بين هذه الدراسات: مُجّد بن مختار الشنقيطي، الخلافات السياسية بين الصحابة بين قدسية المبادئ ومكانة الأشخاص، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ط1

¹. مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 58

². نفس المرجع، ص 76

³. نفس المرجع، ص 59

⁴. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 30

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

الإفلاس الخلقي والاجتماعي والفلسفي والسياسي، فبلغنا ذاته أيضاً»¹، ويصف مالك بن نبي هذا الانتقال من طور العقل إلى طور الغريزة بتحليل نفسي دقيق جداً: «وهكذا وجدنا الحضارة الإسلامية تتوسع وتنتشر فوق الأرض، تتغلب أولاً على جاذبيتها بما تبقى لديها من مخزون روحي، حتى إذا ما وهنت فيها قوى الروح وجدناها تخلد إلى الأرض شيئاً فشيئاً»²

ولكي تعود الحضارة الإسلامية إلى أداء رسالتها في التاريخ مجدداً وهي مهمة أداء الشهود الحضاري، يجب أن يكون ترتيب هذه المراحل من أولوياتها، فهذه الدورة الحضارية هي سنة من سنن الله في الخلق، لذلك مالك بن نبي يرى أن الحركة الإصلاحية في العصر الحديث التي بدأت مع صيحات جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده لم تشخص المشكلة جيداً، فقد اتجهت إلى المرحلة العقلية من الحضارة متخطية أهم مرحلة في البناء الحضاري وهي مرحلة الروح فيقول: «فالأتجاه الإصلاحي - الذي كان من حسناته تحطيم التعادل الخامد الذي استقر عليه عصر ما بعد الموحدين - قد اتجه خاصة إلى الذكاء، وبعبارة أخرى: أدى بالمشكلة إلى (المرحلة الفكرية) من الحضارة، فهو بذلك يتخطى مرحلة جوهرية من مراحل التطور هي: المرحلة الروحية التي تؤدي إلى تغيير الفرد، إلى جانب أنها تؤدي إلى أول تغيير يمكن أن تتعرض له القيم الاجتماعية، فالرجوع إلى السلف - وهو المبدأ الذي نادى به الحركة الإصلاحية التقليدية - لم يُسجّل إذن في نسق من الأحداث التاريخية، فهو بهذا يعد مزلة لا تؤدي بالإنسان إلى مرحلة من الوعي، بل إلى مرحلة يتعلم فيها ما يتصل بعلم الكلام³، أي أنه يسلك النهج الذي سبق أن سلكه المسلمون في عصر ما بعد (صفين)، فهو إذن إصلاح للعلم، قلما يمس، بل لا يمس البتة مصير المجتمعات الإنسانية»⁴.

ما الذي نستفيد منه إسهام مالك بن نبي في موضوع بحثنا - معضلة المنهج في علم الكلام - ؟

وهنا تظهر أهمية دراسة فكر مالك بن نبي في مجالنا هذا، فإذا أردنا أن نضع عملية تزمين لنشوء علم الكلام، وظهور الفرق الإسلامية، وانتشارها، في الدالة الحضارية لمالك بن نبي، سيكون موضعها بلا شك في المرحلة الثانية من مراحل الحضارة الإسلامية وهي مرحلة العقل، فحركة الخوارج ونشوء التشيع، وظهور المعتزلة، وبروز جهابذة العلماء - سواء كانوا علماء كلام أو علماء فقه - من الإمام الباقر والجويني والإمام الشهرستاني والغزالي، ومحنة الإمام أحمد بن حنبل... إلخ، وما تركه هؤلاء من إرث فكري، إذا حاولنا أن نفهمه في ضوء

¹ . مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 37

² . مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 59

³ . وهذا يظهر مثلاً في رسالة التوحيد للإمام محمد عبده

⁴ . مالك بن نبي، جهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 156

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

التحقيب الحضاري لمالك بن نبي - باعتبار أن هذه الاحداث وهذه الجهود الفكرية هي التي رسمت الخطوط العريضة للمدارس والمذاهب الفقهية أو العقدية التي هي مناط دراستنا - سنجد أنها برزت في المرحلة الثانية من دورة الحضارة، المرحلة التي اتسمت باختلال التوازن بين المادي والروحي، بين الكم والكيف، بين الغاية والسبب¹، وفي مستوى الإدارة والتوجيه اتسمت بالفصام بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية².

فعلم الكلام حسب مالك بن نبي لا يمكن أن يساهم في إطلاق شرارة النهضة أو الحضارة لأنّ هذه الشرارة لا تكون إلاّ بالتأثير في مجال النفس والوجدان من أجل الانتفاضة الحضارية - إن صحّ التعبير - ويكون كذلك بالنظر إلى مشكلة الحضارة والنهضة على أنها أولوية من أولويات الدرس العقدي، وليس المطلوب أن نرمي بهذا التراث الكلامي ولا نقرأه، فتشكّلنا التاريخي مرتبط بهذا التراث ويجب أن نستفيد منه من أجل تصحيح مسار التاريخ من جديد يقول مالك: «علم الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس، إلا في ميدان العقيدة أو المبدأ، والمسلم حتى مسلم ما بعد الموحدين، لم يتخلّ مطلقاً عن عقيدته، فقد ظلّ مؤمناً، وبعبارة أدقّ ظلّ مؤمناً متديّناً³، لكن عقيدته تجرّدت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلّل من صلاته بوسطه الاجتماعي، عليه، فليس المشكلة أن نعلّم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه باعتباره مصدراً للطاقة»، ثم يضيف: «وتغيير النفس معناه إقدارها على أن تتجاوز وضعها المألوف، وليس هذا من شأن (علم الكلام) بل هو من شأن منهاج (التصوف)، أو بعبارة أدقّ، هو من شأن علم لم يوضع له (اسم) بعد، ويمكن أن نسميه (تجديد الصلة بالله)»⁴.

والذي نستفيدة من مالك بن نبي هو أنّ الاشتغال بعلم الكلام وعلم العقيدة سواء تأليفاً أو تدريساً يجب أن يُدرس بتناغم مع طبيعة المرحلة الحضارية، فالجدل الذي يقوم عليه علم الكلام قائم على البحث عن

¹. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 169

². عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1992م، ط2/ص47

³. ربما هذه الملاحظة في وقت مالك بن نبي كانت صحيحة لكن في وقتنا الراهن وزمن انفتاح العوالم والفضاء الإلكتروني، وتغول الحداثة الغربية في مفاصل المجتمعات البشرية (العولمة) بما فيها المجتمعات الإسلامية بقيهما. الفردانية، الحرية، السيولة، الاستهلاك، النسبية الاخلاقية ... إلخ. ومع تنامي هذه الظاهرة انتشر الإلحاد بشكل كبير في مجتمعاتنا، صحيح أنه ليس لدينا إحصائيات دقيقة في هذا الشأن، لكن المتأمل فيما يُنشر ويُداول في المنصات الإلكترونية المختلفة يدرك أنّ الأمر ليس بالشيء الهين أو يمكن التغاضي عنه، انظر: عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، نيو بوك

new book للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ط1/ ص 313

⁴. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 54

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

الدليل والبرهان وليس البحث عن حقائق¹، والاشتغال به حول الأمور الغيبية التي لا مجال لحسمها من الناحية العلمية، لا تترتب عليها ثمرة عملية²، «والجدل من أضرّ الأمور على كيان الأمة، إذ هو يقوم في عمومها على هيام أحقّ بالكلمات»³، لذلك علينا أن ننظر في الوظيفة الاجتماعية للعقيدة حتى تتدبّر وتتلبّس وتتسم بطابع الحركية والفاعلية والتأثير على بساط الزمن، فنحن بلا شكّ لسنا في حالة حضارة، ولكي نلجها بالمنهج الصحيح وفق السنن الربانية يجب أن ندخلها من بابها ﴿وَأُتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ {البقرة 189}، «فعلم الكلام يمجّد الجدل وتبادل الآراء، ويشوّه المشكلة الإسلامية، فهذا العلم لا يواجه مشكلة (الوظيفة الاجتماعية) للدين، فموسى وعيسى ومُحمّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكونوا علماء كلام، ينطقون أفكار مجرّدة ولكنهم في الحقّ كانوا مجمعين تلك الطاقة الأخلاقية، التي أوصلوها إلى نفوس فطرية»⁴.

ثانياً: عبد الوهاب المسيري* (اللغة والجاز بين التوحيد ووحدة الوجود):

يتمثّل الجهد الفكري للدكتور عبد الوهاب المسيري من خلال هذا الكتاب في تحليله لبنية اللغة وفلسفتها،

¹. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 58.

². مُحمّد بن مختار الشنقيطي، خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 40.

³. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 58.

⁴. المرجع نفسه، ص 55.

* الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري، مفكر عربي إسلامي وُلد في دمنهور 1938 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، التحق عام 1955 بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية وعُيّن معيداً فيها عند تخرجه، وسافر إلى الولايات المتحدة عام 1963 حيث حصل على درجة الماجستير عام 1964 (من جامعة كولومبيا) ثم على درجة الدكتوراه عام 1969 من جامعة رُتجرز Rutgers، وعند عودته إلى مصر قام بالتدريس في جامعة عين شمس وفي عدة جامعات عربية من أهمها جامعة الملك سعود (1983 – 1988)، كما عمل أستاذاً زائراً في أكاديمية ناصر العسكرية، وجامعة ماليزيا الإسلامية، و عيّن عضواً في مجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام (1970 – 1975)، ومستشاراً ثقافياً للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك (1975 – 1979). وقد كان عضواً كذلك في مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بليسبرج، بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومستشار التحرير في عدد من الحوليات التي تصدر في ماليزيا وإيران والولايات المتحدة والمجلتا وفرنسا، من أهم أعمال الدكتور المسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات) وكتاب رحلتي الفكرية: سيرة غير ذاتية غير موضوعية- في البذور والجذور والثمار. وللدكتور المسيري مؤلفات أخرى في موضوعات شتى من أهمها: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (جزأين)، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهد (سبعة أجزاء). كما أن له مؤلفات أخرى في الحضارة الغربية والحضارة الأمريكية مثل: الفردوس الأرضي، و الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، و الحداثة وما بعد الحداثة، و دراسات معرفية في الحداثة الغربية. والدكتور المسيري له أيضاً دراسات لغوية وأدبية من أهمها: اللغة والجاز: بين التوحيد ووحدة الوجود، و دراسات في الشعر، و في الأدب والفكر، كما صدر له ديوان شعر بعنوان أغاني الخبرة والحيرة والبراءة: سيرة شعرية. وقد نشر الدكتور المسيري عدة قصص وديوان شعر للأطفال. وقد رحل الدكتور عبد الوهاب المسيري عن عالمنا في الثالث من يوليو عام 2008 بعد صراع طويل مع المرض، أخذت هذه المعلومات من موقع www.almessiri.com، تاريخ الدخول للموقع: 14 - 07 - 2023، على الساعة:

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

واهتمام المسيري بهذا المجال يأتي ضمن إطار نسقه ومشروعه الفكري في نقد الحداثة الغربية وما أفرزته هذه الأخيرة من خطابات و نظريات ومقولات تحليلية وفلسفية، وأكثر هذه النظريات تداولاً في المجال الفكري هو ما يتعلق بفلسفة اللغة وآليات تحليل الخطاب، ونظريات التفكيك، والهرمنيوطيقا وموت المؤلف.... إلخ، وما ساعده على التعمق في هذه المواضيع تخصّصه في النقد الأدبي.

ويمكن أن نعيّن الأفكار الأساسية لهذا الكتاب في ثلاث عناصر: 1 - العلاقة بين الدال والمدلول، 2 - إشكالية التحيّز والمصطلح، 3 - المجاز.

1. العلاقة بين الدال والمدلول:

يعالج المسيري في هذا الكتاب قضية العلاقة بين الدال والمدلول، وإذا قلنا (الدال)، فإننا نعني به الجانب المحسوس من الكلمة، فهو الصورة الصوتية أو مساويها المرئي، أمّا (المدلول) فهو الجانب المفهوم من المعنى، بعبارة أخرى الدال هو الاسم والمدلول هو المسمى، الدال هو الكلمة التي تشير إلى الشيء والمدلول هو الشيء المشار إليه، وآثر المسيري استخدام كلمة (دال) لأنها تشير إلى جميع النظم الإشارية (علامات المرور، الرموز، ... إلخ)، وبالتالي فهي أكثر شمولاً¹، وأشهر من استشكل هذه القضية في الفلسفة الغربية المعاصرة وتناولها بالتحليل عالم اللغويات الشهير فيرديناند دي سوسير (1857 - 1913)²، وقضية العلاقة بين الدال والمدلول هي في الحقيقة قضية علاقة (العقل بالواقع، والإنسان بالطبيعة، والذات بالموضوع).

وتأخذ هذه العلاقة ثلاث أشكال أساسية³:

◆ الانفصال الكامل: اللغة في هذه الحالة عبارة عن نظام دلالي مستقل تماماً عن الواقع، وهذا يعني إلغاء تفاعل العقل بالواقع، والنظام اللغوي هو نسق إشاري مبني على علاقة الاختلاف بين الثنائيات المتعارضة، والاختلاف مثلاً بين كلمتي (قطة) و (بطة)، في الحقيقة ليس هو الاختلاف بين ذلك الحيوان الذي يحمل ذلك الاسم والطائر الذي يحمل ذلك الاسم، وإنما هو اختلاف بين الأصوات والاشارات الدالة (بين القاف والباء)، تقابلها اختلافات بين الأفكار والأشياء (المدلولات)، فالمعنى ليس كامناً في الإشارة ذاتها وإنما يتعيّن

¹. فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2012، ط2/ ص31

². المرجع نفسه، ص 32

³. عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2002، ط1/ ص 132

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

من شبكة العلاقات داخل النصّ نفسه، فالمعنى هنا يولد من داخل اللغة نفسها وليس من الواقع¹، وعلى العقل أن يدعن للعب الدوال أو لا يكثرث بالواقع².

♦ الالتحام الكامل: في هذه الحال يصبح الدال مدلولاً كما هو الحال في حالة الأيقونات واللغة الجبرية والتفسيرات الحرفية، واللغة المحايدة، وهذا يعني أيضاً أنّ العقل لا يدخل في علاقة مع الواقع، بل هو جزء لا يتجزأ منه عليه أن يدعن له أو أن يهيمن عليه³.

♦ الانفصال والاتصال: في هذه الحالة ثمة مسافة للفصل بين الواحد والآخر ولكنها ليست هوة لا قرار لها، وإنما توجد نقطة مرجعية نهائية يتصل من خلالها الدال بالمدلول المتجاوز، وهو ليس جزءاً من اللغة، فوجوده يسبق وجودها، وهذا يفترض استقلال الفكر عن اللغة، واستقلال اللغة عن الواقع، ولكنه يعني أيضاً أن اللغة أداة صالحة للتواصل، فهي تشير إلى الواقع رغم وجود مسافة بينهما، وهذا يعني أن العقل قادر على معرفة الواقع والتعامل معه⁴ (5).

2. التحيز والمصطلح:

استعمال اللغة والتعبير عن المعاني دائماً ما يقع في قبضة التحيز، فالتحيز مسألة حتمية وتجاوزه كلية أمر مستحيل، والإيمان بحتمية التحيز والاقرار به هو في الحقيقة رفض لكل اختزال ييسّط الواقع ويُمكنُ عملية الإدراك (أي يجعله آلياً ميكانيكياً وليس توليدياً تفاعلياً)⁶، لأن اللغة الإنسانية مرتبطة ببنية العقل الإنساني، فالعقل ليس كيانه سليماً أو متلقياً يسجّل تفاصيل الواقع كآلة الصماء دون اختيار أو ابداع، وهذا الواقع لا ينعكس على صفحة العقل البيضاء بتطابق والتحام تام، وإنما يدركه من خلال نموذج إدراكي معرفي محمل بالأشواق والأوهام والأهواء والذكريات والأساطير والمصالح، وعندما يسجل الواقع يستبعد بعض التفاصيل، ويبقي البعض الآخر،

¹. فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، المرجع السابق، ص 34

². عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، المرجع السابق، ص 132

³. المرجع نفسه، ص 132

⁴. المرجع نفسه، ص 132

⁵. يقدّم الدكتور جاسم سلطان على موقع اليوتيوب قناة رؤيا للفكر برنامجاً إعلامياً اسمه (البرنامج التأسيسي)، وهي عبارة عن سلسلة من الحلقات يعالج فيها قضايا النهضة والحضارة، ومن هذه القضايا، قضية الجهاز المعرفي، وعلاقة اللغة بالواقع، والعلاقة بين الخطاب والنص، وكيف يمكن أن نوظف هذه الإشكالات في فهمنا للنص الديني، انظر الحلقات 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59. وهذا رابط البرنامج الذي يحوي جميع الحلقات: <https://youtube.com/playlist?list=PLzwteoVF5sprL3BGd8I6j3IIIs5tMlfcB>، تاريخ الدخول

للموقع يوم: 19 جويلية 2023، على الساعة: 19:40

⁶. عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، سلسلة حوارات، تحرير سوزان حربي، دمشق، سوريا، 2010، ط2/ ص 327

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

ويضخّم ما تبقى ويمنحه مركزية ويهمّش الباقي، وتتم عملية الإبقاء والتهميش من خلال خريطة إدراكية تحمل تحيزاته، وقد يكون المرء واعيا بهذا التحيز وقد لا يكون واعيا به¹.

ويمكن تجاوز التحيز أولاً من خلال الوعي به وبأنّه مسألة حتمية في الوعي وفي عملية الإدراك، وثانياً بعدم الاكتفاء بتزديد المصطلحات والدلالات المختلفة التي تعبّر عن الظواهر المختلفة، وإنما بالنظر في الظاهرة ذاتها، لأن تسمية ظاهرة والاصطلاح عليها يخضع لتحيز صاحب الاصطلاح، والذي يمكن أن يكون قد نظر إلى الظاهرة من زاوية معينة فضخم أمراً وهمّش واستبعد آخر، فالتسمية ليست بريئة تماماً².

وهذا يأخذنا لموضوع آخر وهي قضية سك المصطلحات، للتعبير عن الظواهر المختلفة للواقع، «وكلمة (مصطلح) من الفعل (اصطاح) ومعناه اتفاق طائفة ما على شيء مخصوص، ولذا سُمّي علم الاصطلاح بـ علم التواطؤ لأن القوم اتفقوا وتواطؤوا على اصطلاح ما لظاهرة معينة بكلمة كذا، وتحديد المفاهيم والمصطلحات مسألة ضرورية لضبط وتنظيم العملية الفكرية، وتأطير ممارسات الفكر الاجتماعي في سياق منهجي بعيداً عن الفوضى والشتات الذهني من أجل صياغة منطق مشترك بين تفاعلات الأفراد، ويتم ذلك عادة نتيجة تراكم معرفي حضاري وممارسات فكرية لمدة من الزمن، ويتبع ذلك محاولة تقنين هذه المعرفة المنتجة»³.

وقد اهتمّ المسيري بقضية التحيز والمصطلح في إطار نقده للحدائث الغربية، لما وجد أن الثقافة العربية تترجم المصطلحات والمفاهيم التي تولدت في السياق الغربي بحرفية، دون اعتبار ونظر في هذه السياقات، وكأنّ المصطلح منعزل تماماً عن سياقه التاريخي والاجتماعي والحضاري والثقافي، والخروج من هذا المأزق الثقافي يكون بإلغاء الاعتماد على الترجمة لأسماء الأشياء ومعانيها، وبدلاً من ذلك لابدّ أن ننظر إلى أي ظاهرة في سياقها ثم نحاول توليد مصطلح من داخل معجمنا⁴.

ويضرب المسيري أمثلة لهذه المصطلحات المترجمة من الحضارة الغربية دون بذل أي جهد في تفكيكها، أو وعي منّا بتحيّزاتها الكامنة، مصطلحي الحرب العالمية والعصور الوسطى، فأما الأول لم تكن عالمية أبداً وإنما كانت غربية، لكن بما أنّ الغرب يعتبر نفسه مركز العالم والباقي عبارة عن أسواق ومناجم طاقة وأحواض بترول، فإنّ ما يحدث في الغرب هو المركزي وهو العالمي، وإذا كان هناك ثقافات أو مجتمعات خارج هذه الدائرة فهم

¹. المرجع نفسه، ص 326

². عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، المرجع السابق، ص 212

³. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، سنة 1999، ط 1/ ج 1/ ص 41

⁴. عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، المرجع السابق، ص 350

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

كائنات طفيلية وأعشاب ضارة يجب التخلص منها، أو في أحسن الأحوال يجب تحويلها لمواد خام وأيادي عاملة بخيسة الثمن لتدوير محركات المصانع الغربية.

وأما الثاني مصطلح العصور الوسطى كذلك هذا المصطلح يخص الغرب، في تحقيب مراحل التاريخ، وهي تعتبر مرحلة وسطية بين الحضارة اليونانية القديمة وعصر النهضة الحديث، وترجمة هذا المصطلح للعربية بحرفية ينم عن جهل أو تجاهل أو إنكار للذات العربية الإسلامية، فهذه الأخيرة لم تعيش فترة وسيطة بالمعنى الذي عاشته الحضارة الغربية، كذلك الحضارات الأخرى الصينية والهندية ... إلخ، فهذه لديها أطوارها التاريخية التي عاشتها متعلقة بثقافتها هي أيضاً، لكن للأسف عدم وعينا بهذا التحيز الكامن جعلنا نترجم المصطلح بدقة وحرفية عالية، وكأنه مصطلح عالمي، وأنّ الغرب هو المركز و يجب أن يدور العالم في فلكه، ولا اعتبار لتاريخ الأمم الأخرى.

3. المجاز:

«تتكون الصورة المجازية من جانبين، تماماً مثل الدال والمدلول، جانب محسوس مستمد من عالمنا المألوف المباشر، وآخر مجرّد يعبر عن عالم الأفكار»¹، مصطلح المجاز من الفعل جاز الشيء بمعنى تعدّاه إلى غيره، وتقسم الألفاظ في دراسة البلاغة العربية إلى حقيقة ومجاز، والحقيقة في الألفاظ هي استعمالها فيما وضعت لها من المعاني في المعجم اللغوي، أمّا المجاز فهو استعمال أية لفظة في غير معناها المعجمي (الحقيقي أو الأصلي) لوجود علاقة بين المعنى اللغوي الأصلي لهذه اللفظة والمعنى المجازي (الجديد) الناتج عن ذلك الاستعمال (بشرط وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي لللفظة)².

«ووظيفة المجاز في تصوّر بعض علماء البلاغة العربية، أنّه يضيف جمالا على التعبير، ويزيد من قدرته التأثيرية من خلال الإيجاز أو المبالغة، أو تصوير المعاني المجردة، أو إضفاء طبيعة حية على الجماد، أو إضفاء الطابع الإنساني على الحيوان، أو إبراز الصور البلاغية بمظهر جميل يؤثر في العاطفة، والمجاز في حقيقة الأمر ليس مجرّد محسنات وزخارف لغوية فقط، وإنما يمثّل في كثير من الأحيان جزءاً أساسياً من التفكير الإنساني، أي جزء من نسيج اللغة، التي هي جزء لا يتجزّأ من عملية الإدراك»³، «وإذا أقرنا بأنّ هناك مسافة بين الدال والمدلول، قد تتسع أحيانا وتضيق أحيانا أخرى لا يمكن عبورها وطّيّها بالكامل، ولكن يمكن تقريبها وتحويلها إلى مجال للتفاعل

¹. عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز، المرجع السابق، ص 220.

². نفس المرجع، ص 12.

³. نفس المرجع، ص 12. 13.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

عن طريق المجاز ويجعل اللغة أكثر مقدرة على التعبير عن الإنساني والمركب»¹، «ونحن نعلم صعوبة التعبير لذا نستخدم المجاز للتعبير عما هو مركب ومتجاوز»².

«والمجاز يصدر عن إدراك الانسان لحدوده الأرضية، ولكنه هو أيضا وسيلتنا لتجاوز المسافة التي تفصل بين الدال والمدلول بشكل جزئي (سواء أكان الإله المدلول المتجاوز، أم الانسان المدلول المركب الذي يحوي داخله قبسا إلهيا، والذي يتجاوز واحدة الطبيعة/ المادة)، فالمجاز والتجاوز صنوان، والمجاز يؤكّد الصلة بين الأشياء، ولكنه في تأكيده الصلة يؤكّد المسافة بينها، فهو يؤكّد وجود عنصرين (لا عنصر واحد) مستقلين متشابهين غير ملتحمين عضويا، لا يفقد الواحد نفسه في الآخر ليظهر كلّ عضوي جديد، ومن ثمّ فالمجاز يصدر عن الإيمان بثنائية العالم، فهو صدى للثنائية التكاملية الأولى: ثنائية الخالق والمخلوق، فالمخلوق متميز عن الخالق، ولكن لأنه يؤمن بالإله الواحد المتجاوز، فإنّه لا يفقد الأمل في التواصل معه عزّ وجلّ، وهو - أي المجاز - أيضا تعبير عن إمكانية التواصل بين البشر، بكل ما يحملون من أعباء وأفراح وأحزان، فالمجاز يضيق المسافة الإدراكية التي تفصل بين الخالق والمخلوق، كما يضيق بين المسافة الإدراكية والعاطفية التي تفصل بين الانسان وأخيه الانسان، فالمجاز هو تعبير عن موقف مزدوج من اللغة: الدال منفصل عن المدلول، لكنه رغم انفصاله متصل به»³.

ما الذي نستفيد منه من إسهام المسيري في موضوع بحثنا - معضلة المنهج في علم الكلام - ؟

من خلال ما تناولناه في هذه النقطة من بحثنا، تظهر لنا جليا الإضافة التي يمكن أن يقدمها لنا الجهد الفكري لعبد الوهاب المسيري، وهي أن أغلب الإشكالات التي ظهرت في التراث الكلامي يمكن أن تُحلّ إذا رددناها إلى أصلها اللغوي، واعتبرنا أن هذه الظاهرة بالأساس ظاهرة لغوية⁴.

فإشكالية العلاقة بين الدال والمدلول التي طرحها المسيري في كتابه، والتي تأخذ ثلاثة أشكال كما قال: الانفصال الكامل، التطابق الكامل، الانفصال والاتصال، وقد يقابل هذا التقسيم الثلاثي في التراث الإسلامي عند التعامل مع النصوص الدينية تقسيم آخر وهو: قطعي الدلالة وظني الدلالة، وقد استشكل المسيري هذه

¹. نفس المرجع، ص 14

². نفس المرجع، ص 149

³. عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز، المرجع السابق، ص 160

⁴. ذكر هذه النقطة الأستاذ بوزيد بومدين الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر، خلال حوار إعلامي في برنامج أ ل م من تقديم الدكتور يحيى أبو زكريا على قناة الميادين، وعنوان الحلقة : هل فرق علم الكلام بين المسلمين، وقد ذكر هذه النقطة في الدقيقة 47:20 من وقت الفيديو، انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=WOfEjbNpS0>، تاريخ الدخول للموقع: 15 - 07 - 2023، على الساعة: 18:45

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

القضية أثناء تعامله مع النصوص الأدبية والفلسفية، ولم يتناول النصوص الدينية بنفس الإسهاب والتفصيل الذي تناوله في الأخرى، وقد كان هذا كما قلنا ضمن إطار نقد الحداثة الغربية.

المجاز هو خير تجسيد للعلاقة الثالثة بين الدال والمدلول: (علاقة الاتصال والانفصال)، وإدراك الإله لا يمكن أن يكون إلا من خلال المجاز، فالمجاز كما ذكر المسيري يشكّل جزءاً أساسياً من التفكير البشري، قبل أن يكون مجرد زخارف ومحسنات لغوية، فهو تعبير عن المركب والمتعالي والمتجاوز بأدوات البسيط والأرضي والطبيعي والمحسوس، وهذا يعني علاقة اتصال بين الدال والمدلول، فرغم تباعد المستويات بين مستوى الدال أو اللغة أو اللفظة أو الكلمة التي جعلت للمحسوس والملموس، إلا أننا استطعنا توظيفها للتعبير عن المركب والمتجاوز، وفي نفس الوقت تعني علاقة انفصال كذلك، فهذه اللغة المستعملة، تشير وتدّل بشكل أساسي أن هناك ثنائية ومسافة لا يمكن ردمها أبداً مهما بلغت القوة التعبيرية وهي (ثنائية الخالق/ المخلوق).

هذه المقاربة يمكن أن تحلّ لنا الكثير من الإشكالات في التراث الكلامي خاصة ما يتعلق بقضية صفات الله تعالى، وقضية تصوّر الإله من خلال ما ورد في النص الديني، ومن المقاربات المعاصرة مثلاً في الفكر الإسلامي لمبحث الصفات، نجد مقاربة لأحد الباحثين، فبعد أن تناول الآيات الموهمة للتشبيه والتجسيم والآيات التي ذكّرت العرش والكرسي وقضية الاستواء إلخ، تناولها بالتفصيل والتحليل وقد مال فيها إلى التأويل، لكن بعد أن صال وجال ختم قوله بـ: «شيء آخر أرى أنه ربما كان مهماً لتقريب فهم صفات الله عبر (صفات موازية لصفات البشر) عنده عز وجلّ».

ربما كان مهماً أن تكون هناك هالة من الغموض حول فهمنا له عز وجلّ .. أن نسأل: كيف يكون سمعه وبصره؟ .. وما هو العرش؟ وما هو الكرسي؟ .. أن لا يكون ثمة أجوبة نهائية قاطعة حول ذلك

أرى أنّ بقاء هذا الجزء، ضابياً، دون وضوح تام، في منطقة يعجز العقل الإنساني عن الوصول لها وسيرها، مهم لعلاقتنا به عز وجلّ، لجلاله وعظمته ..

بالضبط كما يكون الضوء عظيماً مبهماً بحيث لا يمكنك أن تنظر إلى مصدره .. وتراه»¹

والدكتور المسيري أثناء حديثه عن المجاز كذلك ذكر عبارة مهمة جداً: «وجود المجاز يعني أنّ النصّ المقدّس (أي رسالة الإله للإنسان) نصّ توليديّ مركّب، متعدّد المعاني والمستويات»²، نلاحظ أنّ هذه العبارة تضع

¹. أحمد خيرى العمري، ليظمن عقل، عصير الكتب للنشر والتوزيع، مصر، 2019، ط1/ ص 161

². عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز، المرجع السابق، ص 160

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

مستويين في الاعتبار، النص المقدس، والفهم البشري لهذا النص، أما الأول فهو مطلق¹ لأنه رسالة الإله (المتعالى عن والمتجاوز ل الزمان والمكان والأحداث) أي كلام الله والثاني نسبي لأنه فهم بشري (المرتبط بالزمان والمكان والطبيعة ولكنه ارتباط جزئي وليس ارتباط تلاحم والتصاق وتطابق تام به بل هناك جزء آخر دائما يتوق ويتشوق ويتطلع إلى الإله المتجاوز من خلال التواصل والحوار معه، وهذا للقبس الإلهي والنفخة الربانية التي بداخله).

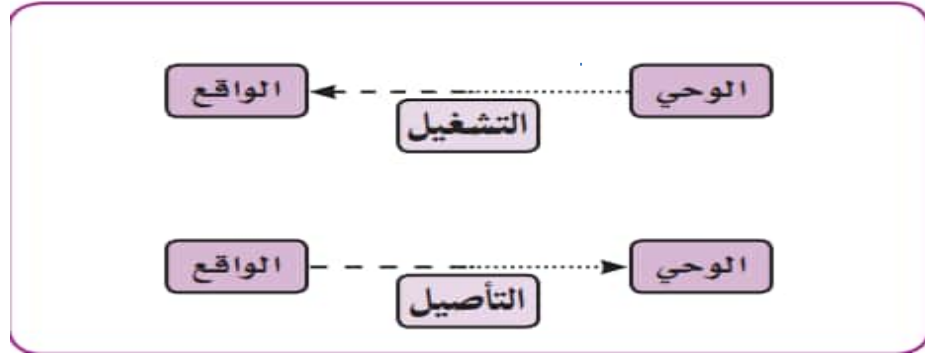
الحفاظ على هذه المسافة بين النص الديني في إطلاقيته والفهم البشري في نسبته القابل للصواب والخطأ، هو ما يحفظ للنص إطلاقيته وللعقل البشري حيويته والذي لا يمكن أن يصل إلى فهم نهائي أبدا، وهذا ما يؤكده المسيحي حين يشير إلى أن طريقة التعامل مع النص الديني يجب أن تتسم بحلزونية الحركة في الاجتهاد، وبالانتقال المستمر بين العقل أو الفهم والنص يقول في هذا الشأن: «فإن الاجتهاد (مثل المجاز) يأخذ نفس الشكل: الاتصال بين عقل الانسان والنص، يعقبه انفصال (تجريد النموذج)، ثم يعقبه اتصال (العودة إلى النص للاحتكام إليه)، فهي حركة حلزونية لا متناهية للوصول إلى المعنى، ولكن المعنى الذي يتوصل إليه المجتهد ليس معنى نهائيا، إذ تجب عليه العودة دائما إلى النص المقدس، أي أنّ الاجتهاد يأخذ شكل حركة حلزونية مفتوحة»².

هذا الشكل الحلزوني لحركة الاجتهاد نجده كذلك عند الدكتور بابا عمي نفسه في كتاب آخر غير هذا الكتاب الذي نحن بصدد تحليله حيث يقول: «إن النسبية والقابلية للدحض والنقض هي السمة الأساسية للنموذج المعرفي البشري، والحاجة إلى نموذج شامل (méta-modèle) في سياق الأيديولوجيات البشرية (ماركسية، حداثة، ...) هي ذات أفق إنساني، أمره بيد الإنسان كلية، فهو لا يستدعي جهة أعلى منه، ولا يقبل وحيا يملأ عليه ولكن ضمن سياق معرفي مرتبط بالسماء مؤمن بالوحي في رؤيته الكونية، تصبح المسألة أكثر تعقيدا، بخاصة في السؤال عن الحدّ الفاصل بين الرباني والبشري، بين السماوي والأرضي، بين الوحي وتفسير الوحي ... النموذج الشامل يتجاوز التجربة الفردية لأي عالم أو حركة مهما كان مستواها، ومهما بلغ أثرها ومداهها، فالنموذج الشامل يولد عند اجتماع الأمة على فهم النص، وعلى تنزيل الحكم، وعلى معالجة الواقع ... بناء على نموذج قابل للاتفاق والاجتماع. وهو طبعا مؤسس على كلام الله تعالى وعلى سنة نبيه الكريم، وعلى سيرته عليه الصلاة والسلام، بل حتى حين نقول إن النموذج الشامل موجود وهو نموذج سيدنا محمد ﷺ، وهو قبل ذلك النموذج المستنبط من القرآن الكريم، فإننا سنقع في مساحة من الاتفاق، ومساحة أخرى من الاختلاف، وبينهما تداخل:

¹ في هذه العبارة المسيحي لم يفرّق بين النصوص المقدسة، من قرآن أو إنجيل أو تورا ... إلخ، وإنما جعلها في نفس الرتبة، من حيث المصدرية أو - على الأقل هذا ما يظهر لنا لأوّل وهلة - وإلا فإنه عندما يشرع في التفصيل والإسهاب، يظهر ولاؤه وانتمائه وتحيّزه للثقافة العربية الإسلامية، وللقرآن الكريم من خلال ضرب الأمثلة.

² عبد الوهاب المسيحي، اللغة والمجاز، المرجع السابق، ص 161

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة



الملاحظ أن الإشكال لا يقع في الحركة الأولية للوحي (الخط المتقطع)، ولا في الوصف الأولي للواقع (النقاط المتقطعة)، وإنما يقع الإشكال في نقطة التماس والتقاطع بينهما (حين التقاء الخط بالنقطة)، ذلك أن العقل البشري يؤسس صوراً إدراكية وترسبات معرفية وذاتية أي (نماذج وبراديغمات) قبل أن ينتهي إلى بناء علوم ومعارف، وليس العقل البشري صفحة بيضاء موضوعية محايدة يشبه بعضه بعضاً، وهنا يبقى أن ما كان في كلام الله تعالى، وما كان في وحي رسول الله ﷺ، يمثل النموذج الأسوة، أو النموذج الأكمل، أو النموذج المثالي، وهو - أي النموذج الشامل - وكل ماسواه ما هو إلا نموذج (قابل للصواب وللخطأ)، نموذج ديناميكي متغير، نموذج بشري قابل للدحض، وهو نموذج نسبي غير مطلق¹.

ويمكن أن نستفيد من جهد المسيري كذلك فيما يتعلق بقضية التحيز والمصطلح، فهذه الظاهرة تجدها أكثر وضوحاً من سابقتها في علم الكلام، وخاصة عند الفرق الإسلامية كلّ فرقة كيف تصف أو تسمّي نفسها ثم كيف تصف وتسمّي الآخر وسنأخذ هذه الأمثلة لنرى مستويات التحيز الكامنة فيها:

- **مصطلح الخوارج:** هل هي تسمية لطائفة معينة ظهرت في التاريخ، أم أنّها سمات وصفات كل من توصّف بها استحقّ هذا اللقب، وهل هو خروج سياسي أم خروج ديني، والذّم الذي وصف به النبي ﷺ هذا السلوك²، هل

¹ . محمد بابا عمي، في حب كلام الله، دار النشر: كتابك، الجزائر، 2018، ط1/ ص 172 . 173 . 174

² . الحديث المعروف المروي في صحيح البخاري، حدثنا قتيبة: حدثنا عبد الواحد، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة: حدثنا عبد الرحمن بن أبي نعم قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: بعث علي بن أبي طالب ﷺ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروط، لم تحصل من تراها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً). قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، قال: (ويلك، أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله). فلا: ثم ولي الرجل. قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: (لا، لعله أن يكون يصلي). فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله = ﷺ: (إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم). قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: (إنه يخرج من ضئضي هذا قوم يتلون كتاب الله ربوا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية - وأظنه قال - لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود). صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

هو بالضرورة يسقط على تلك الفئة التي انشقت عن صف الإمام علي (عليه السلام)، في فتنة صفين، وحركات الخروج التي سبقت هذه الحركة لم لم توصف بهذا اللقب؟، وفرقة الإباضية مثلا التي كانت لها فعلا جذور تاريخية مع تلك الطائفة التي تسمت بالخوارج، والتي التقت معها في قضية رفض التحكيم فقط، ثم تبرزت منها لصنيعها¹، وهل من الإنصاف أن يوصف الإباضية مثلا ليوم الناس هذا، بهذا الوصف²، مع إضفاء البعد المقدس على المسألة - حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) -، في هذا المثال تظهر قضية التحيز واضحة.

● **مصطلح أهل الدعوة والاستقامة:** الإباضية في بداية تشكلهم سموا أنفسهم بأهل الدعوة والاستقامة، وجماعة المؤمنين لأنهم يرون أنهم حافظوا على الإيمان عقيدة وقولا وعملا بخلاف المرجئة الذين يكتفون بالقلب، ويفصلون القلب عن العمل، ومن هذه صفته لن يكون إلا الفرقة الناجية من النار، وتسموا كذلك بالمحكمة: إشارة إلى قولهم لا حكم إلا لله، ويقصدون من خلال هذه الإشارة ألا سبيل إلى إيقاف الحرب في معركة صفين إلا بالرجوع لحكم الله، لأن عملية رفع المصاحف خدعة، لا كما أولتها المجموعات الأخرى بأنها كلمة حق أريد بها باطل، ومعلوم أنه لا يطلع على موطن الإرادة إلا الله، كذلك لقبوا بالشرارة وهي جمع شارٍ على أساس أنهم باعوا أنفسهم في سبيل الله، نلاحظ أن هذه الألقاب لا تخلوا من شحنة عاطفية يراد بها التمايز عن الآخر والتفوق عليه³. كذلك مسألة التحيز ظاهرة في هذا المثال.

● **مصطلح أهل السنة والجماعة:** في تحليله لكتاب الملل والنحل للشهرستاني يسلط الأستاذ فرحات الجعبري الضوء على قضية التسمية التي تبنّاها الإمام الشهرستاني أثناء تعداده للفرق الإسلامية، وعلى أسلوب التحيز الكامن في طريق تعداد هذه الفرق وتسميتها، خاصة أهل السنة والجماعة حيث ورد في كتاب الشهرستاني: «وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة (السلف)، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية»⁴، «فواضح إذن أن الشهرستاني تدرّج تدرّجا مرنا عبر كتاب الملل في تسمية هذه الفرقة ليصل بها إلى أحسن الأسماء "أهل السنة والجماعة" وذلك ليربط هذه الفرقة التي ينتمي إليها بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذي ذكر أنّها الفرقة الناجية»⁵ علما أن هذا المصطلح بالذات (السنة) له دلالة

الوليد (عليه السلام)، إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم: 4094، وكذلك حديث المروي عن ابن أبي أوفى قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخَوَارِجُ

كِلَابُ النَّارِ»، سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: في ذكر الخوارج، رقم: 173

¹. حتى آراء الخوارج الحقيقيين الذين انقضوا في التاريخ لم يتركوا لنا تراثا فكريا أو عقديا مكتوبا، حتى نحكم عليهم وإنما كل ما قيل في شأنهم جاء عن طريق خصومهم، فلذلك علينا استحضار هذا الجو الطائفي والمشحون والمكهرب في تلك البيئة وذلك العصر، مما يؤثر بلا شك في أقلام المؤرخين فكتابة التاريخ ليس بريئا تماما من التحيز.

². فرحات الجعبري، السبيل إلى وحدة الفرق الإسلامية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط1/ص94

³. المرجع نفسه، ص94. 95

⁴. أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، المصدر السابق، ج1/ص93

⁵. فرحات الجعبري، السبيل إلى وحدة الفرق الإسلامية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط1/ص83

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

أخرى عند العلويين «فهم لا يعتبرونها سنة النبي ﷺ، ولكن يعتبرونها السنة التي أقامها معاوية وهي متمثلة في لعن الإمام علي عليه السلام في خطب الجمعة، وبهذا انقلب الأمر من صفة للمدح إلى صفة للذم، ومصطلح (الجماعة) كذلك فهي أيضا لها دلالة ذمّ عندهم ذلك أنّها تذكر باضطرار الإمام الحسن بن علي إلى التخلي لمعاوية سنة (40هـ/ 661م)، فسمي العام عام الجماعة، والعلويون يعتبرون أحقية الإمام الحسن في الخلافة ولكن معاوية قلبها لصالحه وسمي العام عام الجماعة»¹، وهذا أفضل مثال لقضية التحيز في المصطلح نلاحظ كيف يتجاذب الطرفان مدلول مصطلح (أهل السنة والجماعة) كل بما يخدم مصلحته.

● **مصطلح الشيعة:** رغم الحمولة السلبية لهذا المصطلح فيما نجده في ملوله اللغوي من معنى التعصّب والانغلاق، إلا أن هذه الطائفة بالذات «تعتزّ بهذه التسمية وتعتبرها أساسا من أسس الدفاع عن كيانها، لأنه ترى ارتباطا وثيقا بآل البيت، ومثل هذا الارتباط جعل هذه الفرقة تعتبر نفسها أقرب الفرق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»²

نلاحظ أنّ في هذه المصطلحات حتى وإن كانت تعبّر عن أوصاف لكيانات أو حركات اجتماعية ظهرت في التاريخ، إلا أنّ اختيار التسمية والمصطلح بهذه الطريقة ينمّ عن تحيز واضح، سواء كان مع أو ضدّ هذه الفرقة أو تلك، ونحن لسنا بصدد مناقشة هذه التسميات، أو ندعو لإلغائها، وإنما بضرورة الوعي بالتحيز الكامن فيها أو ضدّها، كما أنّ امتدادها التاريخي إلى الوقت المعاصر يجب أن يتخلّص من حملتها السلبية، فالأهم الراشدة هي التي تتعلّم من أخطائها.

المبحث الثاني: حديث الفرقة الناجية

من بين أكثر المعينات والعقبات التي تقف أمام مسعى جهود توحيد الفرق الإسلامية حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة، فقد تعرّض الكتاب لهذا الحديث المنسوب إلى المروي عن النبي ﷺ، واضعا يده على الداء، من خلال استخراج أهم الإشكالات، سنحاول في هذا المبحث إن شاء الله أن نتناول هذا الحديث بالتحليل والتفصيل، لمناقشة هذه الإشكالات، ثم نحاول الخروج من هذا الإشكال بالبحث عن الحلول.

¹. نفس المرجع، ص 83 . 84

². نفس المرجع، ص 85

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

المطلب الأول: إشكالات في حديث الفرقة الناجية

رُويَ هذا الحديث¹ في عدة من كتب الحديث المختلفة، رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه وأبو داود في مسانيدهم، وفي صحيح ابن حبان، وفي المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وفي حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وفي مسند الربيع بن حبيب، وغيرها من كتب الأحاديث المختلفة، وقد روي من حديث أبي هريرة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، وعوف بن مالك، وعمرو بن عوف، وأبي أمامة الباهلي، وأبي الدرداء، ووائل بن الأسقع.

وروي موقوفاً كذلك من قول علي بن أبي طالب، ومن مرسل قتادة ويزيد الرقاشي.

وقد روي بألفاظ مختلفة:

— «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة» وهذا اللفظ أصح ما في الباب

ويروى بألفاظ أخرى مقاربة لهذا اللفظ وفيها بعض الزيادات هي

- «كلها في النار إلا فرقة»
- «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»
- «كلهم في النار إلا واحدة وهي ما أنا هي اليوم وأصحابي».
- «تهلك إحدى وسبعين فرقة وتخلص فرقة» .. قال: «الجماعة الجماعة»
- «كلها في النار إلا السواد الأعظم»
- «كلهم في النار وواحدة في الجنة» .. قال «الجماعات الجماعات»
- «إني لأعلم أهداها»، قالوا: ماهي؟ قال: «الجماعة»
- «كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم»
- «كلهم في النار إلا ملة واحدة ما أنا عليه وأصحابي»
- «كلهن في النار ما خلا واحدة ناجية»
- «كلها ضلالة إلا فرقة الإسلام وجماعتهم»

¹ . تخريج هذا الحديث بهذا التفصيل هو من إعداد الأستاذ الدكتور علي جمعة، أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر ومفتي الديار المصرية، انظر: مُجَدِّ

عمارة، مقالات الغلو الديني واللا ديني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2012م، ط1/ ص85

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

— «كلها في الجنة إلا واحدة». قال: «الزنادقة»

وقد رويت هذه الروايات في مختلف كتب الحديث وعند مختلف الفرق الإسلامية فقد روي عند أهل السنة والإباضية والزيدية والشيعة الإمامية الاثنا عشرية¹.

وهذا الحديث قد ضعفه بعض أهل العلم وصحّحه البعض الآخر: من الفريق الذي صحّحه: الحاكم النيسابوري² (ت 405) و تقي الدين بن تيمية³ (ت 728) والشاطبي⁴ (ت 790) والحافظ العراقي (725 - 806 هـ)، الذي قال فيه أنّ أسانيده جياذ⁵

ومن الذين ضعفوه: ابن الوزير اليماني⁶ (ت: 840 هـ)، وابن حزم⁷ (ت: 456 هـ)، والعجلوني⁸ (ت: 1162 هـ).

هذا عن رواية الحديث أمّا فهمه وتفسيره فهذا أشكل وأعقد من سابقه، ولا يمكن أن ننفي خضوعه لاعتبارات وأهواء مختلفة، بل لقد خضع بالفعل لذلك، والدليل هو تعدّد ألفاظ الرواية وكثرتها وبلوغها إلى حدّ التناقض، فلا ريب أنّ كلّ صاحب مذهب سيعتبر نفسه ومن معه من حزبه من الفرقة الناجية ويكون حرصه شديداً في الدفاع عن نصاعة مذهبه، والإعلاء من شأن علمائه واعتبار أدلّته واضحة، بيّنة، يقينية، لا ينكرها إلّا جاحد، ويحشر الأدلّة حشراً على ضلال غيره من الفرق، مع الحرص على تصيّد مزلق المذاهب الأخرى، وعلى

¹ - عامر الحائي، قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، مجلة إسلامية المعرفة، سنة 16، العدد 63، 2011م، ص 107 - 108

² - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411 هـ - 1990م، ط 1/ ج 1، ص 217.

³ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416 هـ/ 1995م، ج 3/ 345.

⁴ - الشاطبي، الاعتصام، تحقيق ودراسة: الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصبيني الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ج 3/ ص 122

⁵ - العراقي، تخریج أحادیث الإحياء، استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحدّاد (1374 هـ - ؟) الناشر: دار العاصمة للنشر - الرياض، 1408 هـ - 1987 م، ط 1 / ج 4 / ص 1879

⁶ - ابن الوزير اليماني، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م، ج 3/ ص 171

⁷ - ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دون تحقيق، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، دون طبعة، ج 3/ ص 138

⁸ - إسماعيل بن محمد العجلوني الدمشقي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، الناشر: المكتبة العصرية تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندوي، 1420 هـ - 2000 م، ط 1/ ج 2/ ص 521.

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

الانتقاص من علمائها، وعلى دحض أدلتها بكل الوسائل¹، وإن وجد عندها شيء من حق فيجب أن يقاس بدرجة قربها من مذهبها، فجعل كل مذهب من نفسه محكاً للحق، ومركزاً للصواب².

ويمكن أن نورد بعض الأمثلة التي اتبعت هذا المنهج:

- في كتابه الفرق بين الفرق، يعدّد عبد القاهر البغدادي (المتوفى: 429هـ) الفرق الثلاث والسبعين بدقّة - وكانّ الزمن قد توقّف عند عصره ولا يمكن أن تتطوّر هذه الفرق في المستقبل إن زيادة أو نقصاناً -، ثم يؤكّد أنّ الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة يقول: «..... فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَشْتَمِلُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً مِنْهَا عَشْرُونَ رَوَافِضٌ وَعَشْرُونَ خَوَارِجٌ وَعَشْرُونَ قَدَرِيَّةٌ وَعَشْرٌ مَرَجَّةٌ وَثَلَاثٌ نَجَارِيَّةٌ وَبَكْرِيَّةٌ وَضَرَارِيَّةٌ وَجَهْمِيَّةٌ وَكِرَامِيَّةٌ فَهَذِهِ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً فَامَّا الْفِرْقَةُ الثَّلَاثَةُ وَالسَّبْعُونَ فَهِيَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ فِرْقَتِي الرَّأْيِ وَالْحَدِيثِ دُونَ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ وَفَقَهَاءَ هَذَيْنِ الْفِرْقَتَيْنِ وَقَرَأُوهُنَّ وَمَحْدَثُوهُنَّ وَمَتَكَلَّمُوهُنَّ أَهْلُ الْحَدِيثِ مِنْهُمْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى مَقَالَةٍ وَاحِدَةٍ فِي تَوْحِيدِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ وَعَدْلِهِ وَحُكْمَتِهِ وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَفِي أَبْوَابِ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ وَفِي أَحْكَامِ الْعَقَبِي وَفِي سَائِرِ أَصُولِ الدِّينِ وَأَمَّا يَخْتَلِفُونَ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنْ فُرُوعِ الْأَحْكَامِ وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْهَا تَضْلِيلٌ وَلَا تَفْسِيقٌ وَهُمْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ...»³
- وهذا عضد الدين الإيجي كذلك في كتابه المواقف: «وأما الفرقة الناجية المستثناة: الذين قال فيهم (هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي) فهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة، ومذهبهم خال من بدع هؤلاء ثم ساق عقائد أهل السنة»⁴ ثم شرع في تعداد عقائد أهل السنة، والعجيب أنّه لم يذكر فرقة واحدة فقط، وهذا يبيّن مدى اضطراب وضحالة هذا المنهج في تحديد الفرقة الناجية.
- جاء في أحد الكتب الشيعية ما يلي: «إن كلّ عالم منصف يرى أنّ الأدلّة القطعية، تأخذ بالأعناق إلى اتباع مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام، دون غيره من المذاهب، والأحاديث الصحيحة دلّت بأجلى بيان على ما عليه الشيعة الإمامية، ولنا أن نستدلّ على أحقيّة مذهب الشيعة الإمامية بعدة أدلة:»⁵ وبدأ بسرد الأدلة التي تثبت الأحقية المطلقة لمذهب الشيعة الإمامية، وهلاك الفرق الأخرى، وهو بذلك يستثني حتى الفرق الأخرى من الشيعة من الفرقة الناجية.

¹ .مُحَمَّدُ بَابَا عَمِي وَمُصْطَفَى وَبِنْتَن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 79

² .خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة مُحَمَّد ﷺ، مملكة البحرين، 2007، الموقع: <https://tajdeed.org/wehda>، تاريخ الدخول: 24 جويلية 2023 على الساعة 22:25

³ .عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، 1977، ص 19 - 20

⁴ .عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، دون رقم طبعة، دون تحقيق، ص 429 . 430

⁵ .علي آل محسن، مسائل خلافية حار فيها أهل السنة، دون ناشر، 2003م، ط4/ ص 245

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

■ وأما عند الإباضية فقد جاء عند عبد العزيز الثميني: «مع القطع الثامنة من الكبار، التي هي الناجية، المتممة للثلاث والسبعين فرقة، هي الإباضية الخَلَص، المنسوبون إلى عبد الله بن إباح اعتقاد الإباضية الخَلَص الذي عليه نحيا وعليه نموت، بتوفيق الله تعالى»¹ ثم يبيّن أن سلف الأمة وكبار الصحابة والتابعين ينهجون منهج هذه الفرق، لإضفاء الشرعية على هذا المنهج، ولاحتكار الأحقية لهذه الفرق دون غيرها: «وهذه الفرق هي التي وصى عليها رسول الله ﷺ، والخليفتان من بعده، وعلى طريقتهم مات أكثر الصحابة، كأبي عبيدة، بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، وابن مسعود، وأبي ذر، وحذيفة، وسلمان الفارسي، وصهيب وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عباس، وعائشة، وغيرهم من خيار الصحابة، وخيار التابعين، كجابر بن زيد، وأبي بلال، وعروة، وأبي حمزة، وعبد الله بن أباح، وحرقوق بن زهير، وغيرهم من يطول تعدادهم، وكذا تابع التابعين ثم لا بأس علينا أن نعيد ذكر اعتقاد الفرقة المحقة اجمالا واختصارا ...»² ويشعر في تعداد عقائد الإباضية، هنا كذلك يتضح التردّد والتذبذب، في تعداد الفرق أولاً، وفي تعيين الفرقة الناجية ثانياً كونها فرقة واحدة أم فرق متعدّدة.

والمُتأمل في روايات هذا الحديث سيخرج ببعض الإشكالات:

- من هذه الروايات من ذكرت الفرق ولم تذكر الفرقة الناجية، وبعضها ذكرت الفرقة الناجية دون تحديدها وبعضها ذكرت صفة الفرقة الناجية³.
- هذا الحديث لم يخرّجه الأئمة الأعلام الكبار في الحديث، كالبخاري ومسلم والنسائي، وهذا يدعم وجهة نظر من طعن في صحّته⁴.
- الرواية التي أوردها العجلوني في كتاب (كشف الخفاء)، «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة»⁵، تبيّن مدى اضطراب ألفاظ الحديث وتباين دلالاته، وخضوعه لاعتبارات وأهواء مختلفة، وتدعم وجهة نظر من طعن في صحة الحديث وردّه⁶.
- الحديث لم يبلغ درجة التواتر، كما أنّه ظنيّ في دلالاته على افتراض صحة ثبوته، وإلا لما اختلفت الأمة عليه كل هذا الاختلاف¹

¹. عبد العزيز الثميني، معالم الدين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1986م، ج2/ ص 236

². عبد العزيز الثميني، معالم الدين، المرجع السابق، ص 237

³. عامر الحايي، مقال: قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، المرجع السابق، ص 110

⁴. نفس المرجع، ص 111

⁵. إسماعيل بن مُحمّد العجلوني الدمشقي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المصدر السابق، ج1/ ص 150

⁶. عامر الحايي، مقال: قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، المرجع السابق، ص 111

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

- تحديد منهج موضوعي لتعيين الفرقة الناجية وتحديدها متعذر بل مستحيل، لأن هناك تداخل بين مقولات بين الفرق المختلفة، وأسمائها ومواصفاتها ليست ثابتة: كاختلاف الإباضية في القرآن الكريم هل مخلوق؟ واختلاف الأشاعرة في الإيمان هل يدخل ضمنه العمل.²
- أسوب التصيد والانتقائية لاقتناص زلات وأخطاء المخالفين، وحشرهم في زمرة الهالكين³، والبحث عن كلمة السوء بدل من "الكلمة السوء"⁴ وهذا خلافا لما أرشد إليه القرآن المؤمنين من الدعوة إلى "الكلمة السوء"، حتى مع غير المسلمين من أتباع الأنبياء السابقين كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ {آل عمران 63}، يقول الإمام الصنعاني: «ومن يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ويعمد إلى ما شذت به تلك من الأقوال فينقله عنها ليبين بذلك أنها هالكة، لاعتمادها على تلك لأقوال، وأنه ناج بخلوصه عنها.

ولو فُتِّش ما انطوى عليه لوجد عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه»⁵

فقد جرأت هذه الرواية المسلمين على بعضهم البعض بذكر المثالب ونهج سبيل التشهير، وعلى التنقيح في تراث كل فرقة بغية الإساءة إليهم والسخرية منهم، وقد حرّم الله بين الناس كل ما يؤدي إلى ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ {الحجرات 11 - 12}.

- هذا المنحى المنهجي وقف حجرة عشرة في سبيل تجميع (الصادقين) و(المتقين) و(العلماء) و(العاملين) من كل مذهب، في صعيد واحد⁷، وعرقل جهود التقريب بين فرق الأمة وطوائفها، كما أنه فوت مصلحة النهوض

¹ .مُجَدِّدُ بَابَا عَمِّي ومصطفى وبنين، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 81

² . نفس المرجع، ص 82، 83

³ . نفس المرجع، ص 83

⁴ . عامر الحايي، مقال: قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، المرجع السابق، ص 136

⁵ . مُجَدِّدُ بَابَا عَمِّي، حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة، تحقيق وتحرير: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، دار العاصمة للنشر

والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ، ط 1/ ص 78

⁶ . خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة مُجَدِّدُ بَابَا عَمِّي، مملكة البحرين، 2007، الموقع:

<https://tajdeed.org/wehda>، تاريخ الدخول: 26 جويلية 2023 على الساعة 20:30

⁷ . مُجَدِّدُ بَابَا عَمِّي ومصطفى وبنين، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 84

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

بالأمة من كبوتها، وجعل المسلمين يتوجسون خيفة من أي إصلاح قادم من خارج دائرة مذهبهم، والأكثر من ذلك عُدَّ الإصلاح الداخلي في أي مذهب نقضاً لعراه وتحولاً نحو الآخر¹، وفي هذا تفويت لمصلحة الأمة كلها ومخالفة لأمر الله عندما قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ {آل عمران: 104}، وقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ {آل عمران: 110}. فما من شكٍّ أنَّ في الفرق الإسلامية المختلفة اليوم، من يُنتظر منه نصره الإسلام، ويُعقد عليه الأمل الكبير وأنَّ في داخل كلِّ فرقة من هذه الفرق منحرفين وضالين ومضلين ... من لا يرجي نفعهم، ولا يُنتظر منهم الخير للإسلام، ولا النصر للأمة².

— أنها شرَّعت لتقسيم الأمة إلى شيع وأحزاب، وهذا الصنيع وقوع فيما حذر الله منه المؤمنين وتوعد عليه المشركين عندما قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ {الروم: 30-32}. فألغت مفهوم وحدة الأمة الواحدة الذي جاء الإسلام ليرسخه ليس في الأمة الخاتمة فحسب، بل في إطار الإنسانية جمعاء، وذلك عندما اعتبر أتباع الرسل جميعاً أمة واحدة ودعاهم إلى عبادة ربهم ولزوم تقواه ولكن للأسف وقعنا فيما وقعت فيه الأمم السالفة، فأخذت كل فرقة منا تدَّعي أنها على الحق وما سواها هالك في النار، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ، فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ {المؤمنون 52-54}³

— جعلت من الرسول ﷺ مؤسساً للفرقة بين الأمة⁴، وقسمت الأمة شطرين: شطر ناج وشر هالك، وهذا مخالف لطبيعة الرسول الرؤوف، فقد كان يتألف الناس، ويحسن لهم القول، ويلين لهم الجانب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ {آل عمران: 159}

¹ . خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد ﷺ، مملكة البحرين، 2007، الموقع:

<https://tajdeed.org/wehda>، تاريخ الدخول: 26 جويلية 2023 على الساعة 20:30

² . محمد بابا عتي ومصطفى وينتن، أصول الإيمان، المرجع السابق، ص 84

³ . خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد ﷺ، مملكة البحرين، 2007، الموقع:

<https://tajdeed.org/wehda>، تاريخ الدخول: 26 جويلية 2023 على الساعة 20:30

⁴ . نفس المرجع

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

— مناقضتها للإصلاح الإلهي في حال اختلاف المسلمين، حيث يؤمر سبحانه بالإصلاح بين المختلفين، لا بتحري الفرقة الناجية والفرق الهاوية، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ {الحجرات 9-10}¹

— الفهم الذري للنصوص جعل كل فرقة تأخذ بظواهر الآيات والنصوص التي تؤيد مقالاتها وتعرض عن النصوص الأخرى، إما تأويلاً لها، إذا كانت قطعية الثبوت أو إنكارها إذا كانت ظنية الثبوت، دون وضع هذه الآيات والنصوص في سياقاتها ومقارنتها بعضها ببعض، مثال ذلك: ما يتعلق بالمدونات العقدية لكل فرقة، كيف تُقرأ من خصومها، وكيف تُقرأ هي كتب مخالفيها، «فتعامل مع كل نص أو رواية في كتب المخالفين على أنها المذهب كله، دون وضعها في سياقاتها، أو مقابلتها بالنصوص الأخرى المتعلقة بالموضوع ذاته في سائر كتبهم»²

المطلب الثاني: حلول مقترحة للخروج من هذه الإشكالات:

إنكار الرواية جملة وتفصيلاً ورفضها تحت طائلة التضعيف والتكذيب لا يؤدي بنا إلى الهدف المنشود³، فكثرة الروايات التي أوردت هذا الحديث وكثرة طرقه، مع التضارب الكبير في ألفاظه، يجعلنا نترتب ولا نستعجل في شأن قبول الرواية أو رفضها، وإصدار الحكم في هذا الشأن صعب بل مستحيل، لذلك فالخروج من هذه المعضلة لا يكون إلا بإعادة قراءتها وفهمها من جديد.

من المداخل التي يمكن أن ندخل بها لفهم هذا الحديث هو التمييز بين الخطاب التشريعي والخطاب القدري، «أما الخطاب التشريعي - في عرف الأصوليين - فهو الذي يتضمن أمراً ونهياً، وهو يتوجه إلى الضمير

¹. خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد ﷺ، مملكة البحرين، 2007، الموقع:

<https://tajdeed.org/wehda>، تاريخ الدخول: 26 جويلية 2023 على الساعة 20:30

². عامر الحائي، مقال: قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، المرجع السابق، 137

³. خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد ﷺ، مملكة البحرين، 2007، الموقع:

<https://tajdeed.org/wehda>، تاريخ الدخول: 29 جويلية 2023 على الساعة 18:35

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

الخلقي لدى المؤمن، وينير له طريق حياته العملية، وأمّا الخطاب القدري فهو يدخل في نطاق الغيبات، ولا ينبغي عليه فعل أو ترك، بل إيمان وتصديق»¹.

فلا شك أنّ حديث افتراق الأمة هو إنباء عن المستقبل منه ﷺ، فإذا اعتبرنا حديثه ﷺ إنباء عن الغيب ووحيا من الله سبحانه وتعالى، فهذا يدخل في شأن الخطاب القدري، لكن يجب أن لا ننسى أن الخطاب الشرعي يطالبنا بأمر آخر، أكثر من مجرد الإيمان بانقسام الأمة في المستقبل إلى شيع وأحزاب وطوائف، يأمرنا بالوحدة وعدم الفرقة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ {آل عمران 103}، ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ {الأنفال 47}، وفي حال اقتتال المؤمنين يأمرنا بالإصلاح بين المؤمنين، والوقوف في وجه الظالم والباغي والأخذ على يد الظالم ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ {الحجرات الآية 09}، فإذا وقف المسلمون على الحياد، وقالوا لا نسعى للوحدة بين الفرق الإسلامية، لأن ما وقع هو مصداق لنبوء النبي ﷺ، فلا شك أنّ هذا انحراف في مقصود الشرع وتخلّ عن المسؤولية الأخلاقية، «ومثل ذلك يقال في الأحاديث التي تنبأت بوقوع الفتن، بين الصحابة رضي الله عنهم، فالحياد الأخلاقي السائد في الفكر الإسلامي حرم المسلمين من الدراسة التقويمية للخلافات السياسية بين الصحابة، واستخلاص العبرة منها للمستقبل»².

ويمكن أن تفهم الرواية في ضوء سنن الاجتماع والحضارة، وحركة التاريخ، وهذا ما تطرّق إليه الباحث خميس بن راشد سعيد العدوي، في مقاله الرائع المعنون بـ: **قراءة في رواية الفرقة الناجية**.

يقول: «فالرواية إن حملناها محلل الوعي بسنن الماضي، والقدرة على استشراف المستقبل بتحليل معطيات الوقائع والأحداث، هانت المسألة وقلت المؤونة، وكنا أكثر إدراكاً بلحظتنا الراهنة، وبما ستؤول إليه مسيرة حياتنا، وأكثر فاعلية في القدرة على التفاعل الحضاري مع الأمم؛ تأثراً موزوناً غير فاقد لبوصلة قافلته، وتأثيراً يطمح إلى الإفاضة على الغير بالهدي الرباني المرشد إلى السعادين في الدنيا والآخرة»

«حتما لا تعتبر الرواية بكافة ألفاظها إنباءً عن الغيب، وإن كان لا يُستبعد صدورها في عموم أصلها عن الرسول ﷺ، لا على جهة الإنباء بالغيب³، وإنما على جهة الوعي الحضاري بمسير البشرية، والتدبر العميق لمنطوق

¹ محمد بن المختار الشنقيطي، الخلافات السياسية بين الصحابة بين قدسية المبادئ ومكانة الأشخاص، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ط1/ ص 187.

² نفس المرجع، ص 189.

³ من القضايا الشائكة والخلافية في تراثنا الإسلامي، هل مثل هذه الأحاديث التي تنبأت عن المستقبل، هل هو من قبيل الإنباء بالغيب ووحى من الله تعالى، أم هو استشراف منه ﷺ للمستقبل، يقول محمد عمارة أثناء تحليله لحديث الفرقة الناجية: «الحديث يثير قضية خلافة وشائكة، وهي: هل كان الرسول ﷺ، يعلم الغيب؟ وهل كان الإخبار بالغيب من معجزاته؟ .. ونحن مع الذين يرون أنّ القرآن الكريم هو معجزة الرسول التي لم يتحدّ قومه

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

القرآن الكريم، والاستشراف التحليلي للمستقبل، فالنبي عليه السلام أوتي من الذكاء السهم الوافر، ومن الحكمة القدر المعلى، وهو في المقام الأرفع من القدرة على ممارستها، فلا ريب أن لديه عمقاً متميزاً في فهم حركة التاريخ الذي قصّه عليه ربه جلّ وعلا، وقد وقعت الأمم السالفة في الانقسامات الدينية بعدما جاءها العلم والهدى والبيّنات»¹.

وإذا أردنا أن ننظر إلى الأثر الإيجابي والقضايا المستفادة التي خلّفتها هذه الرواية في التراث المعرفي والفكري للمسلمين يمكن أن نشير لبعضها²:

1. سير الرجال والتراجم العلمية: التنافس المعرفي المحموم بين الفرق الإسلامية ترك لنا تراثاً ضخماً فيما يتعلق بسير الرجال والتراجم العلمية، فقد أدى هذا التنافس على "الفرقة الناجية" إلى تقديم كل مذهب رموزه، فحفظ لنا هذا التراث الكثير من سير هؤلاء الأعلام وقد صنّف كل مذهب أسفاراً في طبقات رجاله وسيرهم³.

بمعجزة سواها، وأتته ﷺ في حياته وسلوكه كان بعيداً عن الإخبار بالمغيبات، بل إنّ آيات القرآن الكريم تنفي أن يعلم الرسول الغيب إلا إذا كان وحياً أوحاه الله ﷻ إليه، والوحي الذي لا خلاف عليه هو المودع في القرآن الكريم والآيات الدالة على ذلك كثيرة: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَيْعَ إِلَّا مَا يَوْحَى إِلَيَّ﴾ {الأنعام 50}، والآيات التي ينفي فيها الرسول ﷺ - بأمر الله - علمه بالغيب كثيرة وأكثر منها الآيات التي تقطع باختصاص الله ﷻ ذاته بعلم الغيب، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ {النمل 65}، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ {النحل 77} أما الآية التي يقول الله فيها: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ {الجن 26، 27} ... فهذا الاستثناء يعني جواز أن يوحى الله للرسول نبأً من أنباء الغيب، وفي هذه الحالة يكون موضعه هو موضع النبأ المقطوع بأنه وحى، وهو القرآن الكريم، كما هو الحال مع وحى الله ﷻ، بغلبة الروم، ونحن لا نستبعد أن يكون الرسول ﷺ قد تنبأ بافتراق الأمة واختلافها، إذ إنّ اتحاد أمة من الأمم وأهل دين من الأديان كفرقة واحدة هو أمر مستحيل، بحكم التجارب الإنسانية السابقة، وما تطرحه الحياة المتجددة من قضايا ومعضلات، تستلزم الاجتهاد والاتفاق والاختلاف، فهو نوع من النبوءة الفكرية والسياسية، تخرج عن الغيب وأنبائه، بل وتخرج عن أن تكون خاصية من خواص الأنبياء والرسول، أما مسألة تحديد الفرق بالعدد 73 فهذا لا نميل إلى اليقين به لأنه - على هذا النحو - لا بد أن يكون إخباراً بالغيب .. الذي استأثر الله ﷻ بعلمه .. ولم يرد في القرآن أنّ الله قد أوحاه إلى الرسول ﷺ» انظر مُجدّ عمارة، مقالات الغلو الديني واللا ديني، المرجع السابق، ص 88 - 89.

90

¹. خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة مُجدّ ﷺ، مملكة البحرين، من 28 إلى 30 ديسمبر 2007، الموقع: <https://tajdeed.org/wehda>، تاريخ الدخول: 29 جويلية 2023 على الساعة: 18:35

². نفس المرجع، ص 56 (الاستنباسات السابقة من هذا المقال كانت من الموقع مباشرة، لذلك تجد الإحالة إلى الموقع، بينما في هذا الموضوع وما بعده فقد حُملت المقال وبالنسبة لترقيم الصفحة فهي من الترقيم الآلي للجهاز ولا يوجد ترقيم للصفحات في المقال الأصلي).

³. نفس المرجع، ص 56

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

2. رصد المجتمع: من خلال ألفاظ الرواية المختلفة يمكن أن نتبع حركيتها على بساط الزمن لرصد تقلبات الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فإن هذه الروايات وأمثالها قد حفظت لنا قدراً جيداً من المادة التاريخية المتعلقة بأحوال المجتمع وعموم حياة الناس والعلاقة التي تربطهم، ونظرة بعضهم إلى بعض، إنها سجلت مناطق نفوذ الآراء والأفكار في المجتمع، ونقاط تقاطعاته السياسية والاجتماعية، وبؤر خوفه من المجهول، وطرائق عيشه، ونحو ذلك¹.

3. آلية الحفاظ على الذات: التعاطي مع رواية الفرقة الناجية جاء كوسيلة للحفاظ على الذات من الذوبان في الآخر، لذلك قد ابتكرت هذه الفرق الإسلامية وسائل عديدة لذلك، منها التأليف العلمي الحشد والتعبئة الجماعية، أو الدعوة في المجتمعات، أساليب الخطابة والمنبر، للحفاظ على فرقها الناجية أي "ذاتها"، ويمكن أن نستفيد من هذه الوسائل المبتكرة في صناعة خطاب إسلامي شامل يحمي الذات الإسلامية من الذوبان² خاصة في هذا العصر عصر التحولات العالمية، التي تشهدها البشرية الآن، صحيح ليس بذلك الأسلوب الفظ الذي مارسه أتباع الفرق بين بعضهم البعض ولكن باستثمار تلك الآليات. وتوجيهها³.

4. دراسة علم النفس الجمعي: «علم النفس الجمعي هو أحد فروع علم النفس المهمة، وكل من يريد أن يفهم أي مجتمع، أو يندمج فيه، أو يؤثر عليه، أو يسيطر عليه، فإن بوابته هذا العلم، حيث يقوم بدراسة المجتمعات، وجمع عينات وقائعها، ثم يقوم بتصنيفها وتحليلها، ليخرج من ذلك بمادة تساعد على فهم هذا المجتمع كيف يفكر؟ وكيف يتحرك؟ وما هي العلاقات المنظمة له؟. بل إن علم النفس الجمعي يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث تستغل الدول لفهم أفراد مجتمعاتها وكيف يفكر، بغية الوصول إلى سلاسة انقياده، والأخطر من ذلك عندما يرصد أي مجتمع من قبل مناوئيه بهدف التأثير على رأيه العام، وهذا ما نلاحظه في الحروب الباردة التي تسبق الحروب الساخنة وتعقبها، بل الأكثر من ذلك عندما تدرس انفعالات المجتمع وطرائق مواجهته، فيتم

¹. نفس المرجع، ص 57

². في برنامج إعلامي فكري، بعنوان قراءة ثانية، يديره الدكتور علي السند على قناة العربي، في أحد الحلقات استضاف البروفيسور الحاج أومنة دواق، في حلقة بعنوان الفكر الوافد ذكر فيها ثلاث أنماط سلكتها الحركة الثقافية الإسلامية بعد موجة الاستعمار الحديث في التعامل مع الفكر الوافد: 1. موقف الصدّ والرفض 2. موقف التمثّل وجلب واستجداء الثقافة الغربية والارتقاء في أحضانها 3. موقف الوسط والذي اصطلح عليه ب: تعلّم منه لتنفصل عنه، رابط فيديو البرنامج: <https://youtu.be/Ksn96Bm7rRw> تاريخ الدخول 2023/07/31، على الساعة: 19:30، وقد شرع في الحديث عن هذه النقطة بدءاً من الدقيقة 12 و 20 ثانية من وقت الفيديو.

الموقف الصحيح الذي يجب أن تسلكه الثقافة الإسلامية، هو الموقف الثالث: وهي تعلّم منه لتنفصل عنه، باعتبارها الحاملة لرسالة الإسلام العالمية، ولكن عالمية بأي معنى؟، هل بإلغاء الثقافات البشرية المتعددة ومحوها وإغائها إذا كنا في حالة القوة أو صدّها ورفضها والانكفاء على الذات خوفاً من الذوبان فيها إذا كنا في حالة الضعف؟، هذا هو الرهان وهذه هي مهمة أداء الشهود الحضاري على الخلق بتعبير مالك بن نبي - رحمه الله - ، وقد تحدّثنا عن هذه النقطة في البحث السابق.

³. خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، المرجع السابق، ص 57

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

تحديد أسلوب التعامل معه مبكراً. بدون شك؛ إن لدينا حصيلة وافرة لدراسة ما شكّل عقلنا الجمعي؛ عمودياً وهو يتوغل في حقب التاريخ، أو أفقياً وهو يمتح في رقعة الأرض، سواء في الماضي أو الحاضر، إن هذه المادة يمكن أن تفيدنا كثيراً لو أحسنا استغلالها فيما يخدم وحدة الأمة ونهضتها، وتقارب مذاهبها وتآلف أتباعها وتراحم أبنائها، وهو ما يمكن أن نستنبطه بصورة أو أخرى من رواية الفرقة الناجية، ومن الآثار التي تركتها على الأمة¹.

5. . علم كلام جديد: «لدى الأمة علم كلام ضخم، لا نكون مبالغين إن قلنا بأنه لا يوجد مثله في دين من الأديان رغم تقدمها الزماني وسبقها المكاني، هذا العلم الكلامي كون لدينا فلسفة إسلامية، جعلها متميزة عن الفلسفات الأخرى كاليونانية ونحوها. وكل علم من نتاج البشر له وعليه، إلا أننا نجد في علمنا الكلامي مناقشة واسعة للاحتجاج وقدرة هائلة على الاستنباط، كل هذا وضعنا أمام جزئيات دقيقة من تفكيرنا العقدي، بل على وعي قوي بمناطق الإيمان داخل النفس الإنسانية. إننا يمكن أن نحمل هذا العلم لضخه في الحوار الثقافي والفكري مع الأمم والأديان الأخرى، فعندنا مكنة علمية تجعلنا لا نهاب من ميراث الأمم، بل تكونت لدينا عبر تأريخنا الكلامي الكثير من الخبرات المهمة في التعامل مع الآخر نظرياً وواقعياً، وهذا ما يمكن أيضاً أن نفعله في حماية بيتنا الإسلامي الكبير من الغزو الثقافي المفروض بآلة العولمة، فعلينا أن نصوغ علم كلام جديداً موجهاً نحو رياح العولمة لنستفيد منه إسلامياً، علم كلام يقوم على أنقاض علم الكلام القديم الذي وجهت نصاله إلى نخور المسلمين؛ من قبل بعضهم البعض»².

6. الموازنة بين الهوية والشخصية: «نقصد بالهوية الإطار المرجعي الذي يجب أن يلتزمه الفرد أو المجتمع في شتى نواحي حياته؛ بدأ بالمعتقد والإيمان، وانتهاءً بالسلوك والعمل، مروراً بالأخلاق والقيم، وهذا الإطار المرجعي – لدينا نحن المسلمين – محفوظ بحفظ كتاب الله، ولذلك لا نخشى على هويتنا عواصف العولمة وأعاصير التغيير، لأن الله قد تكفل بحفظ كتابه المجيد حين قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر: 9}، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ {القيامة: 17}.

وعلى هذا فالهوية مرتبطة بالثبات وعدم التغيير، والهوية الإسلامية متعالية عن الخصوصية الاجتماعية، فهي تراعي الثوابت دون أن تعرقل حركة المتغيرات، وتحفظ الكليات دون إلغاء الجزئيات.

¹. نفس المرجع، ص 58

². خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، المرجع السابق، ص 58

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

أما الشخصية فنقصد بها الخصائص التي يحملها الفرد أو المجتمع فتميّزه عن غيره، وهذه الخصائص يجوز عليها الثبات والتغير، بل هي تنحو إلى التغير وإن ببطء، ولذلك تحتاج إلى إطار مرجعي حتى لا تذوب هويتها، وتفقد صلتها بدين الله، ولذلك يجب أن تكون مؤطرة بإطار الهوية الإسلامية.

وهذا يتضح في أن الإسلام يحفظ دين الفرد والمجتمع دون أن يجعله مذهبياً أو عنصرياً أو قوطياً أو قبلياً أو نحو ذلك، وإنما الشخصية هي التي تحفظ ذلك.

والإسلام لم يأت ليصادر الخصوصيات الشخصية، فلكل مجتمع شخصيته الفكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وبالحقيقة فقد استطاعت الفرق الإسلامية وهي في حمى السباق المذهبي أن تحافظ على هويتها الإسلامية، فلم يخرجها ذلك عن إسلامها، كما قد ضمن لكل مذهب شخصيته وخصوصيته، ونحن في دعوتنا إلى التقارب والتآلف والتوحد لا نسعى إلى إلغاء هذه الشخصية الخاصة بكل مذهب، فهي تضمن التنوع والتكامل، بل ندعو إلى أن نستظل جميعنا بهويتنا الإسلامية، وأن نقوم بالمواءمة بين هويتنا وشخصيتنا، فإذا استطعنا أن نحقق هذه المعادلة الصعبة، ونرجو أن نكون قد قطعنا شوطها الأطول، فإننا بذلك نكون قد مهدنا لأنفسنا أن ندخل فضاء العولمة بكل اقتدار غير هيايين ولا وجلين، إننا سيكون لنا موقعنا البارز على خارطة العالم دون أن نفقد هويتنا، بل سنحافظ على شخصيتنا الخاصة...¹».

هذه بعض النقاط أو القضايا التي يمكن أن نستفيد منها من فقه رواية الفرقة الناجية على سبيل المثال لا الحصر، وهذه القراءة التي تدخل ضمن المنظور السُّنني التي تحاول دراسة الظواهر الإنسانية والأحداث التاريخية والاجتماعية واستنباط السنن واستخلاص العبر، ومثل هذه الدراسات يجب أن تفعل بكثافة في دوائر الفكر والحوار والبحث والدارسات الموضوعية المختلفة.

وفي ختام هذا الفصل لا يسعنا إلا أن نذكر أنفسنا بالاسم الذي ارتضاه لنا رب العالمين، فنحن قبل أن نكون شيعة أو زيدية أو إباضية أو أشاعرة أو ماتريدية أو سلفية أو وهابية نحن مسلمون في نهاية المطاف ﴿هو سماكم المسلمين﴾ {الحج 76}، وهذا هو الانتساب الحقيقي الذي يجب أن يرتفع سقف انتمائنا إليه وإذا كان هناك

¹. خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، المرجع السابق، ص 62

الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة

ثمة فرقة ناجية بالمعنى الحقيقي للنجاة فإن كل من استمسك بأصول الإسلام وشرائعه¹ سيكون ناجيا إن شاء الله، وأن هذه الفرقة لا تضيق بها الألقاب الحادثة أو الأسماء المصطنعة، ولا يستأثر بها أو يحتكرها مذهب محتلق أو حزب مبتكر أو حركة محدثة، وإنما هي فرقة رحبة واسعة تسع كل من صدق بأصول هذا الدين في اعتقاد أو تشريع²

¹ . حسن فرحان المالكي في برنامج إعلامي تحدّث عن رواية الفرقة الناجية وقال بأنّ النجاة لا تكون بالانتماء لفرقة أو مذهب وإنما بصفات تتحقّق في الإنسان فيستحقّ بذلك الجنة، وهذا بالاستناد إلى الكثير من الآيات الواردة في القرآن الكريم التي تبين بوضوح أنّ الخيرية رهينة بصفاتها وليس بموصوفيتها، واستشهد بآية سورة الرعد ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)﴾ {الرعد 19 - 24}، فكل من تحقّق بكلّ هذه الصفات من أيّ مذهب كان غدّ ناجيا عن الله تعالى، وأما الفرق الضالة فهي كذلك موجودة في الآية التالية، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)﴾ {الرعد 25}، انظر الفيديو: https://youtu.be/z_OkEXeOvq0، تاريخ الدخول: 04 أوت 2023، على الساعة 18:45

² . محمد نعيم محمد هاني ساعي، القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، المرجع السابق، ص 524

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة.

ويحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: أهمية الدرس العقدي في توحيد الأمة

المبحث الثاني: شروط تحقيق وحدة الأمة من خلال الدرس العقدي

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

عبر الكاتب عن حسرته وأسأه على قصورنا وتقصيرنا في عرض العقيدة السليمة الصافية لأجيال اليوم، وهو يلقي اللوم على الأمة الإسلامية بكل أطرافها وتخصّصاتها، وعلى علماء العقيدة بدرجة أخصّ، من أجل ردم الهوة بين واقع الأمة الإسلامية المتخبط في أحوال التخلف والجهل والعصبية والبغي والظلم...، وبين عقيدتها وأصول إيمانها، التي تعرضها كتب العقيدة وعلم الكلام التراثية، وهو يقرّ أن المشكل ليس في هذا الفن ذاته، ذلك أنّه قد أدّى المهمة التي أنيطت به واستنفذ غرضه التاريخي، لكن اللوم على اعتقاد أنّها - كما هي دون تحديث - يمكن أن تستجيب لحاجات هذا العصر، ولأذواق الأجيال اليوم.

يقول في هذا الشأن: «لو أنّ طالب علم في زهرة العمر سأل: ماهي المراجع التي تغرس فيّ روح الإيمان بيسر ووضوح (هذا إذا كان ممن يقرأ ويطلع أساساً) لو أنّه سأل هذا السؤال، وهو غارق في متناقضات مما يعايشه في واقع المسلمين اليوم ومما يُزرع في مداركه من أفكار محكمة التشويه، عبر وسائل التواصل والاتصال، وبرامج التربية وتقنيات الترفيه ...»¹ «هب أنّك أحلته إلى مصدر في علم الكلام، من أمّهات الكتب، ثم وقع على عشرات الصفحات فيها البرهنة (اللغوية، الأرسطية، الجدلية) على مسألة "خلق القرآن" مثلاً، وانتهى إلى أنّه مخلوق أو قديم غير مخلوق، ثمّ أفدته أنّ المسألة قطعية وجب عليه اعتقادها، كما وردت في المذهب، ثمّ أغلق الكتاب وخرج إلى معمرة الحياة اليومية، ليكتشف أنّ جمهور المسلمين غارقون في بحر من الموبقات والأزمات إلّا قليلاً، من مثل الربا، قتل النفس بغير حقّ، الظلم، الجهل، العصبية، البغي...، فيما أفادته هذه المسألة حتى لو حفظ أدلّتها، وحفظ الردّ على أدلة المخالفين، ثمّ استظهر كلّ ذلك بامتياز؟»²

ثمّ يبيّن ضرورة التصدي لهذه المشكلة فيقول: «لماذا عجزنا عن تقديم عقيدتنا - للأجيال المتعطّشة - صافية ناصعة، لا شية فيها، لتكون لهم سفينة نجاة أمام الأمواج المتلاطمة، للفلسفات والأفكار المنحرفة، وفي مواجهة وسائل التضليل والاعلام المدمّرة؟»³

وهو يتساءل بحرقه لماذا لا يوجد عناية واهتمام في التأليف بأكثر العلوم قداسة - العقيدة الإسلامية -، مع ربطها بقضايا الواقع، بينما نجد في غيرها من الحقول وميادين المعرفة اهتمام والتفاف الباحثين حولها، «لسنا جادّين لأننا تركنا المهمة لثلة من المتخصّصين في العقيدة، ولم تعد تعني علماء النفس، الاجتماع، الحياة، الاعلام

¹. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 63

². نفس المرجع، ص 64

³. نفس المرجع، ص 67

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

التربية والفنّ، وغيرها من العلوم التي لها دور جوهري في الإجابة عن السؤال الحضاري الصعب»¹ وهو بهذا يدعوا إلى ضرورة العمل الجماعي وتكوين فرق بحث، تضم تخصصات مختلفة²، للالتفاف حول هذه القضايا حيث يقول: «عملياً نخطب الباحثين في مختلف التخصصات: ابتداء بالعقيدة إلى الحياة والفنّ والاجتماع ... مروراً بعلماء التربية والمشتغلين بالتعليم .. ندعوهم جميعاً ليفكّروا جدّياً في الفتن التي ابتلينا بها ولينظروا إلى العقيدة، أو بالأحرى إفساد العقيدة على أنّه سبب مباشر»³.

«الأدهى والأمر أننا حوّلنا العقيدة إلى ساحة للتضليل والتكفير والتفسيق فيما بين المسلمين، حتى تحوّل الانشغال بها - أحياناً - مرادفاً للاشتغال بتصنيف الآخر - إمّا معنا أو ضدّنا⁴ - ... هذه الأحكام ليّتها كانت للكافر تحقيقاً، ذلك أنّ الكافر صار هو الحامي لحمى أوطاننا الرافع في حقول بترولنا، وإنما للمخالف لنا في المذهب وللمباين لنا في الرأي والاختيار»، ثمّ يشير إلى بعض العناوين التي تُصنّف في أكثر العلوم قداسة يندى لها الجبين يقول: «اقرأ معي هذه العناوين، التي يصادفها طالب العلم السائل عن عقيدته بين ثنايا الكتب المشهورة في "النّت" وعلى صفحات الفيسبوك، وهو حريص على تعلّم أمور دينه، وتشرب روح إيمانه:

* موسوعة الردّ على الصوفية

* أسود الأشاعرة والصوفية، للردّ على الوهابية، خوارج آخر الزمان

* ضلالات فلان

* اسكات الكلب العاوي

* الطوفان الجارف لكتائب البغي والعدوان

¹ . مُجّد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 68 - 69

² . يدافع الدكتور مُجّد بابا عمي . ضمن سياق نموذج الرشد . عن فكرة الجماعة العلمية والمتحد العلمي، ويرفض كلّ أشكال الاختزالية التي تقرّم الظواهر المعقّدة والمركّبة إلى أسباب بسيطة ومبتذلة، دون أن تبلور نماذج مركّبة، تفسّر هذه الظواهر تفسيراً معقولاً مولّداً للفعل والعمل. وهذا لا يتأتّى إلّا في سياق خصب من العلماء والباحثين، ويفرّق ومراكز بحث تضمّ تخصصات مختلفة تنظر إلى الظاهرة بزوايا نظر مختلفة. انظر: مُجّد بابا عمي، تيه ورشاد من القابلية للاستعمار إلى القابلية للرشد، دار الفكر دمشق، سوريا، ودار كتابك، الجزائر، 2016، ط 1/ ص 131 - 134 وكذلك جابر ناصر بوحجام، انتاج المعرفة في سياق حضاري متأزم، مرجع السابق، ص 31 - 114، انظر كذلك: طه كوزي، أزمتنا الحضارية العقدية والمخرج، مرجع سابق، ص 155 - 158

³ . مُجّد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 70 - 71

⁴ . أشار الكاتب إلى الآثار الكلامية المتطرفة، من خلال الفتن القائمة شرق المعمورة وغربها من سوريا والعراق وليبيا، ودكّر بفتنة غرداية وهي ليست عنّا ببعيد والتي استثمرت فيها آراء تكفيرية، لتبرير قتل من اعتبر «خارج الملة والدين»، و«أشدّ على الإسلام من اليهود والنصارى»، وغير ذلك من الأحكام المجنّنة من مصادر علم الكلام والفقّه أحياناً، انظر: طه كوزي، صورة العصر، مؤسسة كتابك، الجزائر، 2019، ط 2/ ص 37.

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

وعناوين أخرى كثيرة لا حصر لها ولا عدّ، يكفي أن تحدّد الجهة والاسم لنقرأ ما لا نهاية له من الأدلة على ضلال الجهة الأخرى، فلم يسلم من هذا التناطح فرد ولا جماعة، ولا مذهب ولا مجتمع، ولا وطن ولا بلد»¹

وهو يؤكّد على أهميّة تشريب العقيدة الصافية في نفوس النشء بتوظيف أحسن الأساليب وأجودها في عرضها على الأطفال وأنّ هذا يختلف عن الأساليب الأكاديمية المتخصصة فيقول: «لا ريب أنّ التّأليف التربوي المبسّط الفعّال، يستلزم ملكات علميّة ويستوجب قدرات ومواهب، ويستدعي إمكانيات ووسائل تفوق بكثير ما يحتاج إلى التّأليف الأكاديمي المتخصّص والموجّه، ومثال ذلك نجد أنّ كتابا واحدا مثالا لمستوى الثانوي، في مادة الرياضيات تفرّغ له ستون عالما في كندا (الكيباك)، من مختلف التخصصات إضافة إلى فريق فني محترف، عارف بأذواق الشباب، مستوعب لتوجّهات العصر، مدرك للأسئلة الحائرة التي تضغط على وجدان وقلوب هؤلاء الذين يؤلّف لهم .. فهل يُقبل مع هذا أن نكتب نحن مصدرا في أكثر العلوم قداسة: العقيدة، لأهمّ شرائح المجتمع أهميّة وخطورة: الأطفال، بلغة لا يفهمونها، وتصنيف لا يفقهونه، ولا يدركون مداه، وبالتالي لا يغريهم»².

«فهي دعوة للجديّة إذن ذلك أنّ الحضارة تولد من رحم الاجتهاد فهل نحن جادون»³

في هذا الفصل سنتحدّث عن أهمية الدرس العقدي ودوره في توحيد الأمة، وعن شروط تحقيق وحدة الامة من خلال الدرس العقدي والبحث العقدي.

المبحث الأوّل: أهمية الدرس العقدي في توحيد الأمة

هذا التفرّق والتفتت والتشرذم الذي ابتليت به الأمة لا بد من وجود من يتصدّى لهذه المهمة من رجال الفكر والعلم، ومن يتخصّص في العقيدة بدرجة أولى، ذلك لأن «العقيدة هي الأساس الأول لبقية الأسس في

¹. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 70

². في هذا العصر عصر الصورة المتحرّكة والتي لها سطوة قوية على ذهن في رسم الصور الإدراكية، نجد أنّ لغة الفكر ومحاضن الدرس تنتمي لغير زماننا، فناشئة العصر يرفلون في أفق الصورة "غثّها وسمينها"، أمّا محضنهم التربوي فجاثم في عصر النص. انظر طه كوزي، أزمتنا الحضارية العقدة والمخرج، المرجع السابق، ص 220 - 222، انظر كذلك أحمد دعدوش، قوة الصورة كيف نقاومها وكيف نستثمرها، دار ناشري للنشر الإلكتروني ومنشورات السبيل، 2014، ط 1/ ص 106 - 107

لذلك نجد أفلام الكرتون والأمني تلي هذا الاحتياج لدى الأطفال، ولا يخفى علينا ما للأفكار والسموم الأخلاقية والفكرية والعقدية التي تُدسّ في عقول وأفئدة هؤلاء الأطفال من خلالها، والتي تُجرّع بطريقة منافية لعقائدها ومبادئنا وأخلاقنا وقضايانا الإسلامية، لكن البديل الذي يتوافق مع قيمنا في هذا المجال هزيل وضئيل، ولا يمكن أن ينافس جودة الصورة والصوت في أفلام الأمنّي، انظر مثلا هذا الفيديو:

https://www.youtube.com/watch?v=-3QJ_BdflwM&t=331s، الأمنّي الياباني.. براءة محلاة بالسّم تاريخ الدخول

للموقع: 2023/05/31، 21:30

³. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 71

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

الدين الإسلامي»¹، ولأنّ علم العقيدة هو الأساس الذي تبنى عليه العلوم الإسلامية، «فهو الأصل والوتد الذي تستند عليه، وفقهها الأكبر الذي ينبغي العناية به أكثر من غيره»²

وتظهر أهمية البحث في المجال العقدي فيما يخدم وحدة الأمة في الخصائص التي تتميز بها العقيدة الإسلامية ويمكن أن نذكر بعضها:

المطلب الأول: ربانية المصدر والهيته

لم يكن كافياً أن تكون العقيدة الإسلامية بين المسلمين وحيدة المصدر، بل كانت من الله تعالى وحده لا شريك له، وثُبتت من معين الوحي الذي لا ينضب، «وينصّ المصدر الإلهي الذي جاءنا بهذا التصوّر - وهو القرآن الكريم - على أنّه كلّ من عند الله، هبة للإنسان من لدنه، ورحمة له من عنده. وأنّ الفكر البشري - بما فيه فكر السؤل ﷺ أو فكر الرسل جميعاً باعتبار أنّهم جميعاً أرسلوا بهذا التصوّر في أصله - لم يشارك في إنشائه، إنما تلقّاه تلقّياً ليهتدي به ويهدي. وأنّ هذه الهداية عطية من الله كذلك يشرح لها الصدور وأنّ وظيفة الرسول - أي رسول - في شأن هذا التصوّر هي مجرّد النقل الدقيق والتبليغ الأمين، وعدم خلط الوحي الذي يوحى إليه من عند الله بأي تفكير بشري - أو كما يسميه الله سبحانه بالهوى - أمّا هداية القلوب به، وشرح الصدور له فأمر خارج عن اختصاص الرسول، ومردّه إلى الله وحده في النهاية ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ {الشورى 52 - 53}»³

«فالتوحيد هو قاعدة كلّ ديانة جاء بها من عند الله رسول، والقرآن الكريم يقرّر هذه الحقيقة، ويؤكدّها ويكرّرها في قصّة كلّ رسول كما يقرّرها إجمالاً على وجه القطع واليقين

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ {الأعراف 59}

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ {الأعراف 65}

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ {الأعراف 73}

¹ - عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، العراق، العدد 203، 2012م، ص 1120

² - عبد الصمد بوذياب، حاجة الدرس العقدي إلى أعمال النظر المقاصدي، مجلة الإحياء، مجلد 20، العدد 26، سبتمبر 2020م، ص 62

³ - سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، المرجع السابق، ص 46

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

﴿وَالِى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ {الأعراف 84}

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ {طه 09 - 14}

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {المائدة 116 - 118}

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ {الأنبياء 25}،¹ وهذا ما يميز العقيدة الإسلامية عن المعتقدات والتصورات الأخرى سواء كانت فلسفية أو وثنية، أو معتقدات الديانات الكتابية المخرفة، التي يشوبها الاضطراب والغموض والشك حول الحقيقة الإلهية أو الحقيقة الكونية أو الحقيقة الإنسانية²

فالله هو الذي تولى بحفظ مضمون هذا الدين عن طريق الوحي لرسوله ﷺ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ {آل عمران 19}، وأغلق الباب أمام أي ادعاء أو انتماء غير الانتماء للإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {آل عمران 85} وهو الذي تعهد بحفظه من التبديل والتغيير والتحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر 09} ومن الانحراف في المنهج أن نفصل بين حفظ الله تعالى للعقيدة وبين حفظه للقرآن الكريم³، «ويترتب على هذه الطبيعة الإلهية أن أساسيات هذا الدين ثابتة»⁴.

«وتبرز أهمية هذه المصدرية وعلاقتها بوحدة الأمة، في أنها صادرة من خارج الانسان وفوق حدوده البشرية، فالله أعلم بحقيقة التركيبة البشرية وميولها ونوازعها كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ {ق 16}، فمن شأن هذه الميزة أن تمكن العقيدة من تقريب وجهات النظر، وتقلل من مساحة الاختلاف، أو توجهه على الأقل، وتوصل الناس إلى قول جامع

¹ . سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، المرجع السابق، ص 190 - 191 - 192

² المرجع نفسه، ص 192

³ . محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 89 - 90

⁴ . عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1115

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

بينهم، يمكنهم أن يجتمعوا عليه، ولا يبعد أن يتحدوا ولو كان فيهم اختلاف في وجهات النظر، لأنهم سيجدون دوماً منطقة وسطا فيها يلتقون وإليها يرجعون، والله تعالى يَمُنّ علينا بهذه الوسطية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ {البقرة 143}»¹

المطلب الثاني: وحدة الخلق باتجاه الخالق بمقتضى العبودية.

«يقوم التصور الإسلامي على أنّ هناك ألوهية وعبودية .. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه. وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه، وكما يتفرد الله ﷻ بالألوهية، كذلك يتفرد - تبعاً لهذا - بكلّ خصائص الألوهية .. وكما يشترك كلّ حي وكلّ شيء - بعد ذلك - في العبودية، كذلك يتجرد كلّ حي وكلّ شيء من خصائص الألوهية .. فهناك إذن وجودان متميزان وجود الله ووجود ما عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بال مخلوق، والإله بالعبيد»²

والعبادة أثر من الاعتقاد، وقد بنيت على أسس لتحقيق مقاصد كثيرة: أهمّها: توحيد المسلمين في عبادتهم لله تعالى من خلال مظاهر أداء الشعائر، «فالصلاة تربي المسلم على الارتباط بالجماعة والمشاركة لها وتحطيم الفوارق الاجتماعية والطبقية، فالمسلمون يصلون صفّاً واحداً أمام رب واحد وميزان التفاضل واحد وكذلك الزكاة مشاركة للجماعة المسلمة بالعطف على الفقراء وتربية على البذل وبعد عن البخل والشح»³.

ويظهر هذا الأمر جلياً في أنّ الكثير من العبادات التي نصّ عليها الوحي إنّما شرعها لتحقيق غاية ومقصدا «ولم تكن تراد لذاتها، بل لما توصل إليه من حسن اجتماع البشر، وتعاونهم، وتكامل أدوارهم في الحياة فلا نكاد نجد تشريع عبادة أو أمر إلاّ ويتضح أنّ فيه صلاح أمر المؤمنين جماعة، وفيه وحدتهم وجمع شملهم، وحتى على مستوى اللفظ كان النص يأتي مخاطباً الجماعة دون الفرد في الغالب، ومن ذلك على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ {الأعراف 204}

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ {الأنفال 46}

¹ . محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 90

² . سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، المرجع السابق، ص 190

³ . عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1121

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

وقوله سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {التوبة 103}»¹.

وهذه الشعائر قد شرعت لتحقيق مقصد الجماعة والوحدة وتكاثف المسلمين، ومما يستشهد به على مقصد توحيد العباد على توحيد الله تعالى نهي الرسول ﷺ وموقفه من الذين يتركون الجماعة، كما جاء في الحديث الشريف «عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب، فيحطب، ثم أمر بالصلاة، فيؤذن لها، ثم أمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال، فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم، أنه يجد عرقا سمينا، أو ممراتين حسنتين، لشهد العشاء»² «وَاحْتُجَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ... عَلَى أَنَّ الْجَمَاعَةَ فَرَضُ عَيْنٍ، إِذْ لَوْ كَانَتْ سُنَّةً لَمْ يَهْدَدْ تَارِكُهَا بِالتَّحْرِيقِ، أَوْ فَرَضُ كِفَايَةٍ لَكَانَتْ قَائِمَةً بِالرَّسُولِ ﷺ وَمِنْ مَعَهُ»³، «ويظهر في هذا الحديث تعظيم أمر الجماعة وأَنَّ العبادة لوحدها كانت تكفي لولا أَنَّ الشرع قد أمر بها جماعة من أجل جمع كلمة الأمة، وتوحيد صفها»⁴، ويدعم هذا المعنى قصة المسجد الضرار التي نزلت فيها آية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ . أَقَمَنْ أُسْ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسْ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {التوبة 107 - 109}، وخلفيات بناء هذا المسجد ذكرت في كتب التفسير: «فقد نزلت الآية في سبعة عشر من المنافقين من بني عمرو بن عوف، قالوا: تعالوا نبني مسجدا يكون فيه متحدثنا ومجمع رأينا.

فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يأذن لهم في بناء المسجد، وقالوا: قد بعد علينا المسير إلى الصلاة معك، ففتوتنا الصلاة، فإذن لنا أن نبني مسجدا لذوي العلة والليلة المطيرة. فأذن لهم، وكانوا ينتظرون رجوع أبي عامر الراهب من الشام، وكان النبي سماه فاسقا، وقال: (لا تقولوا راهب ولكن قولوا فاسق)، وقد كان آمن بالنبي ﷺ مرتين ثم رجع عن الإسلام، فدعا عليه رسول الله فمات كافرا. فلما ظهر أمرهم ونفاقهم جاءوا يحلفون إن

¹. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 92

². صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب وجوب صلاة الجماعة، رقم: 644 تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر نشر: دار طوق النجاة 1422هـ، ط 01/ ج 01 ص 131، وقال الزرقاني في شرحه على الموطأ: «(أَوْ مَرَّتَيْنِ) بِكَسْرِ الْمِيمِ وَقَدْ تَفَتَحَ تَثْنِيَةُ مِرْمَاةٍ قَالَ الْحَلِيلُ: هِيَ مَا بَيْنَ ظَلْفَيْ الشَّاةِ مِنَ اللَّحْمِ حَكَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَقَالَ: لَا أَدْرِي مَا وَجْهُهُ»، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، شرح الزرقاني على موطأ

الإمام مالك تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ - 2003م، ط 01/ ج 01 ص 463

³. محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المصدر السابق، ص 465

⁴. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 93

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

أردنا بنيانه خيرا فنزل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا﴾ يعني: بنوا المسجد للضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، لكي يصلي بعضهم في مسجد قباء، وبعضهم في مسجدهم، وليجتمع الناس إلى مسجدهم ويتفرق أصحاب رسول الله ﷺ¹، وأمر الله نبيه محمد ﷺ بعدم الصلاة فيه، وبالصلاة في مسجد قباء الذي أسس أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ من يهدم ذلك المسجد²، وهذا هو الشاهد أن عبادة صلاة الجماعة لا تراد لذاتها فقط وإنما لمقصد توحيد الصفِّ ولمَّ الشمل فما بالك إذا كان أداء هذه العبادة يناقض المقصد الذي شرعت من أجله، كمثالنا هذا عن مسجد الضرار «وهذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى تلائم ارتقاء الوسائل الحبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان»³.

كذلك فقد جاءت الشريعة بأحكام تضبط حياة المسلمين وتسيّرها، على اختلاف فئاتهم وأجناسهم وطبقاتهم وأعراقهم غير مفرقة بين أحد وآخر، ولا مجال للتفاضل بينهم على هذه الاعتبارات إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ {الحجرات 13}، وقد كان هذا من آخر وصايا النبي ﷺ في حجة الوداع كما جاء في الحديث الشريف: «عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَظَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ حُطْبَةَ الْوَدَاعِ قَالَ: «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»⁴، وهذا المعيار في التفاضل - أي التقوى - استأثر الله بعلمه دون باقي الخلق، ﴿فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ {النجم 32}، «لذا لم يكن يتاح في الشرع أن يشتغل الناس بتصنيف المكلفين حسب تقواهم بأعيانهم، ولم يمتلكوا مفاتيح السعادة الأخروية وبيوت النعيم يقسمونها بينهم، لأنهم إن فعلوا فهم لا محالة سيحابي بعضهم بعضا وسيختلقون مقاييس تخدم بالضرورة أهواءهم المتقلّبة، وميوهم المتحيّزة وحينها لا يسلم إلا من رحم الله، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ {الزخرف 32}»⁵

¹ . التواتي بن التواتي، الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين، تفسير سورة التوبة، دار الحكمة، الجزائر، 2016م، ط01/ ج 10/ ص 299 . 300

² . المرجع نفسه، ص 301

³ . المرجع نفسه، ص 302

⁴ . أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، كتاب: حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه، فصل: وما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء، حققه وراجع

نصوبه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخرّيج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م،

ج07/ ص 132/ رقم 4774

⁵ . مُجَدُّ بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 94

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

المطلب الثالث: شمولية تصور الوجود.

«والمقصود به توجّه العقل في بحث القضايا توجهها شاملاً بتناولها من جميع جوانبها، واستجماع جميع المعطيات المتعلقة بها ضماناً في ذلك للوصول إلى الحقّ فيها، فإن تقصّي المعطيات في موضوع البحث، واستجماع كل ما له علاقة به عند النظر فيه من شأنه أن ينير السبيل في كشف حقيقته. أمّا النظر الجزئي المقتصر على بعض المعطيات والجوانب فإنه بفضي في الغالب إلى الرأي المنقوص، ولا يكشف الحقيقة الكاملة»¹

وفي العقيدة الإسلامية ما يربي العقل على هذا المنهج الشامل فهي تمنح صاحبها تصوّراً شاملاً للوجود بكلّ أبعاده، ومن خلالها يرسم الإنسان علاقته النازمة مع الله، ومع نفسه، ومع الإنسان بدوائره المتدرّجة بدءاً بأهله وعشيرته ومجتمعه ثم الأقرب فالأقرب إلى أن تصل إلى الدائر الأكبر دائرة البشرية والإنسانية، والعلاقة الأخيرة مع الكون والوجود الطبيعي المحيط به، فكل ما يحيط بالإنسان من طبيعة وجبال وأفلاك وبحار وجبال ... إلخ، هي من صميم الوجود الإنساني، والإنسان ليس مركز الوجود، كما أنه ليس طرفاً أو عنصراً هامشياً لا يتفاعل معه، «بل له علاقة بكل ما يحيط به، يرتبط بما حوله على المنهج الذي وضعه الله تعالى له، حتى لا يضيع ولا يضيع، ويبنى ويتنفع، ويصلح ولا يفسد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ {الأعراف 56}»².

ومن صور شمولية تصوّر الوجود «ردّ هذا الوجود كلّ .. بنشأته ابتداءً، وحركته بعد نشأته، وكلّ انبثاق فيه، وكلّ تحوّل وكلّ تغيّر وكلّ تطوّر. والهيمنة عليه وتدييره وتصريفه وتنسيقه ... إلى إرادة الذات الإلهية السرمديّة الأزليّة الأبديّة المطلقة»³ وهذه الآيات الدالة على هذه الصورة من صور شمولية التصوّر:

- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ {القمر 49}
- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ {الفرقان 02}
- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ {الرعد 08}
- ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ {طه 50}
- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {النحل 40}
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ {الأعراف 54}

¹. عبد المجيد النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1992م،

ط1/ ص 33.

². نفس المرجع، ص 91

³. سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، المرجع السابق، ص 96

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

- ﴿وَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ . سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ . وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ {يس 33 - 40}

هذه بعض الآيات التي تؤكد نفاذ الإرادة الإلهية المطلقة في جميع مفاصل الوجود، فهي تروي ظمأ الإنسان المعرفي في تفسير ظواهر الوجود «وتمنح العقل والقلب راحة وطمأنينة، واتصالا بحقيقة المؤثرات الفاعلة في هذا الوجود - كما هي في عالم الحقيقة والواقع - ويعفي الفكر البشري من الضرب في التيه بلا دليل ومن الإحالة على* أسباب غير مضبوطة - وأحيانا غير موجودة - كالإحالة على الطبيعة أو الإحالة على العقل أو الإحالة على كائنات أسطورية كالتصورات الوثنيات، وتلبست بها الفلسفات، على مدار التاريخ»¹.

كذلك من صور شمولية التصور في العقيدة الإسلامية أنها تعطينا الوصف الدقيق لحقيقة الكينونة الإنسانية، عن أصل الخلقة والمسار والمصير عن النفس البشرية ودقائقها وما يؤثر فيها، عن كرامة الآدمي وأفضليته على المخلوقات، وعن الحياة والموت ... إلخ، قال تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ . وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ {الحجر 26 - 31}
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ {الذاريات 56 - 58}
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ {المؤمنون 12 - 16}
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ {البقرة 30}

* لعل الأصح إلى وليس على أي - الإحالة إلى كذا وكذا - والله أعلم.

¹ . سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، المرجع السابق، ص 100

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾
{الإسراء 70}
- ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ {البقرة 38 - 39}
- ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾
{سورة العصر}
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ {ق 16}
- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ {البلد 04}
- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ {يس 77}
- ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ {الكهف 54}
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ {المعارج 19 - 22}
- ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ {النساء 28}
- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {يونس 12}
- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ كُفُورًا . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا﴾ {هود 09 - 10}
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ {الإسراء 11}

هذا العرض الدقيق لحقيقة الكينونة الإنسانية، ولأبعادها المختلفة «قد عجز الفلاسفة والحكماء عبر العصور في إلمام وتغطية ولو جانباً واحداً من هذه الأبعاد»¹. «ذلك أن نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان هي نظرة شاملة متزنة معتدلة، فالإنسان ليس بالكيان المادي فحسب، كما أنه ليس بالروح المجردة عن المادة بل هو كائن يحتاج إلى نمو الجسم والعقل والروح والخلق بتوازن واعتدال»².

¹. نسيمة درار، نورة رجائي، تجديد الدرس العقدي وسؤال المقاصد، المرجع السابق، ص 254

². عاذلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1115

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

ويرى أحد الباحثين أن المقاربات التربوية في عصرنا الحالي - بعد أن استعرض أبرزها - «والتي تتزاحم وتتدافع في التحكم بالإنسان والإيقاع به في شراكها، وتسعى جاهدة أن تطعمه من فئات فكرها، وكتالوج صورها الإدراكية، وتشحنه بقناعاتها النمطية وخارطتها الإدراكية»¹، فشلت في فهم الإنسان في كليته لأنها لم تستأنس بالوحي في إدراك أبعاده وجوانبه المختلفة «وجلي للمتأمل أن كل مدرسة ومقاربة قد جنت من إنسانها بالقدر الذي زرعت، إلا أن إخفاقها كان جارفا حين لم تستطع أن تخاطب الإنسان كله، ولم تستطع، أن تنفذ إليه من كل موارده: قلبه، وعقله، وأركانها»²

وإذا استطعنا أن نخاطب كليات هذا الإنسان وأبعاده المختلفة من خلال الوحي، وتجمعت هذه الكينونة الإنسانية المركبة بعد أن كانت مبعثرة الأطراف، إذا تمكنا من ذلك فإننا سننتج الإنسان الذي يكون طليعة في التاريخ، هذه الحقيقة التي أنتجت لنا الجيل الأول من المسلمين، يقول سيد قطب: «وحيثما بلغت هذه الحقيقة أوجها في المجموعة المختارة من المسلمين الأوائل، صنع الله بها في الأرض أدوارا، عميقة الآثار في كيان الوجود الإنساني، وفي كيان التاريخ الإنساني»³، ولنا أن نسأل بعد كل هذا: «ما الذي جعل صحابي الأمس ينطلق بفعالية مئات الكيلومترات (800) في بيداء شبه الجزيرة (من المدينة إلى تبوك) رغم الحرّ (45 - 50 درجة)، وقلة ذات اليد (التعاقب في المركب على الدابة الواحدة)، والصوم (في شهر رمضان)؟ وما الذي أودى بإنسان العصر ممن تنزلت عليه نفس الآيات والنصوص إلا أنه سلب الفعالية والانطلاق...»⁴، ببساطة لأن هذا الصحابي فهم جيّدا دوره في هذا الوجود وبأنه مستخلف من الله فيه، وعلى عاتقه يحمل مسؤولية هداية الخلق، فالقرآن الكريم قد صاغ تصوّره الشمولي للوجود.

هذه هي إذن أبرز الخصائص التي تتميز بها العقيدة الإسلامية، وبسببها يصير أمر البحث في شأن وحدة الأمة أمرا لازما، وعلى كل من يشتغل في المجال العقدي أن يحمل هذا الهم. وفي المبحث التالي سندكر الشروط اللازمة لتحقيق وحدة الأمة من خلال الدرس العقدي

¹. طه كوزي، القرآن نسخة من الإنسان، دار النشر: كتابك، 2017، ط 1/ ص 174

². نفس المرجع، ص 177

³. سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، المرجع السابق، ص 113

⁴. طه كوزي، القرآن نسخة من الإنسان، المرجع السابق، ص 177.

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

المبحث الثاني: شروط تحقيق وحدة الأمة من خلال الدرس العقدي .

سنتناول في هذا العنصر من البحث أهم شرطين أساسين يجب توفرهما في الدرس العقدي: أولاهما: في ما يتعلّق بالمضمون والمحتوى ونأخذ فيه نموذجين تعليميين تحريّا فيه هذا المضمون، والثاني: في ما يتعلّق بمن يتولّى تدريس هذا المحتوى.

المطلب الأول: شروط مضمون ومحتوى المادة التعليمية.

أول ما ينبغي تحريّه في مضمون ومحتوى المادة التعليمية في الدرس العقدي هو الحفاظ على المصدر الذي تستقى منه العقيدة الإسلامية، الوحي بشقيه - القرآن الكريم والسنة النبوية¹ -، فبالتالي يجب التذكير باستمرار بأن أيّ اجتهاد أو تفسير بشري لا يمكن أبداً أن يرقى إلى مستوى النص، وبذلك يكون الارتباط والتعلّق بهذا المصدر دائم وحيوي²، «فلا يتداخل الفهم البشري مع نص الوحي، ولا يرفع التفسير الإنساني إلى درجة النص، ولا يستحدث منه أصل عقدي، ويحتفظ لكلّ بمقامه ومكانته في التشريع، فالنص ملزم، وقاض على التفسير، والجهود البشري يبقى اجتهادا في التوضيح يستأنس به، يساعد على فهم النص، ولكن لا يكون مهيمنا عليه»³، ذلك أن المسافة بين هذين المستويين من المحال أن تزداد، والمقارنة لا تصحّ أصلاً، «فالله تعالى يصف علمه بالسعة التي يستحيل أن يحيط بها أحد مخلوقاته»⁴، يقول عز من قائل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ {البقرة 255}، وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ {الكهف 109}. وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {لقمان 27}.

«فلا يعقل أن يقضى على الأصل العقدي بمصدريته العلوية، وطريقه النبوي عبر الوحي الإلهي، بالاجتهاد البشري المحدود والمقيّد بالعقل، بكلّ ما فيه من خصائص تضعه دون علم الله تعالى وما يقع أحياناً من إشكالات علمية ومنهجية وشرعية، سببها عدم احترام الحدود الفاصلة بين مصادر المعرفة، وعدم ضبط الأصلي من الفرعي منها، والمحدود من اللامحدود، وبين العلم الإلهي الحقّ الثابت، وبين العلم البشري النظري والمتغير دوماً، والقاصر عن الوصول إلى الحقائق المطلقة»⁵، وبرسم هذا الحدّ الفاصل بين الإلهي والبشري سيخرجنا من أزمت

¹ - عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1117 - 1118 - 1119.

² - عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز، المرجع السابق، ص 161.

³ - محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 101.

⁴ - نفس المرجع، ص 102.

⁵ - محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 102.

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

ومعضلات فكرية كثيرة، منها أن الفهم البشري للمطلق الإلهي يبقى في رتبته البشرية «وما دام كذلك فلا يمكن بحال أن يطلب فيه الاتفاق على رأي، ولا أن يُرفض فيه الاختلاف، ويقطع فيه عذر من رأى رأياً مخالفاً، إذا كان مستنداً إلى دليل، أو أثارة من علم»¹، وإذا أقررنا بمحدودية هذا الفهم وقصوره، حتماً سينشأ اختلافات في الفهم، وفي سبيل توحيد الأمة يجب اعتبارها ثراءً في الفكر الإسلامي، باعتبارها الصورة التي تفاعل فيها العقل الإسلامي مع النص الديني، ويمكن أن نمثل هذه الصورة بالموشور الزجاجي* الذي يحلل لون الضوء الأبيض إلى أطراف مختلفة، فإذا اعتبرنا الضوء الأبيض هو الوحي، والموشور الزجاجي هو العقل البشري الذي يتلقى هذا الوحي، والألوان الطيفية الناتجة هي الفهم المختلفة، لو أخذنا هذه الصورة بعين الاعتبار حتماً سنعتبر هذا التنوع والاختلاف في الفهم ثراءً في الفكر الإسلامي، ويمكن أن نستفيد منه في حاضرنا ومستقبلنا حسب الظروف والسياقات المختلفة والمتغيرة².

ومن الأمور التي ينبغي أن يتقضاها الدرس العقدي أيضاً، القراءة التوحيدية للأصول العقدية التي أفرزها التراث الكلامي، «فتقرأ دوماً بطريقة تمكّن من توحيد المسلمين، ومن ذلك منهج العلماء الذين ينحون منحى تقليص الخلاف قدر المستطاع، وتقريبه إلى الخلاف اللفظي الذي ينتهي إلى اعتبار الخلاف مجرد اختلاف في وجهات النظر وزواياه»³

وكلّ هذا يكون بالتذكير بمقاصد العقيدة، فسؤال المقاصد في العقيدة لم ينل حظّه من الدراسات والبحوث، مثل ما اعتني به في مجال الشريعة⁴، وحرى بنا في مضممار البحث العقدي أن نبحت عن المقاصد والغايات والحكم «فالبحت عنها يؤدي إلى تأكيد الحكمة الإلهية، والتأكيد على كون هذه العقيدة ربانية المصدر، فتعليل العقيدة في الإسلام وإظهار الأبعاد الحكمية لها يؤكد إعجاز هذه الرسالة ومصدرها الرباني، ففي هذه المقاصد تتجلى دلائل المصدر الرباني للقرآن الكريم، إذ كيف يتسنى لرجل أن يأتي بعقيدة من عنده، تتميز

¹. نفس المرجع، ص 102

*. انظر هذا الفيديو الذي يشرح فيه عمل الموشور الزجاجي، https://youtu.be/_OsOIKhh_2M، تاريخ الدخول: 12 أوت 2023، على الساعة: 12:25

². محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 104

³. المرجع نفسه، ص 103

⁴. عبد الصمد بوزياب، حاجة الدرس العقدي إلى إعمال النظر المقاصدي، المرجع السابق، ص 62

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

بخصائص العقيدة الإسلامية: من شمول وواقعية وأبعاد فكرية ونفسية وعملية، تحقّق التوازن عند الإنسان، وقد عجز الفلاسفة والحكماء عبر العصور في تغطية ولو جانب واحد من أبعاد الإنسان»¹

فإذا رجعنا إلى المدونات العقدية التي أفرزها التراث الكلامي بمختلف طوائفه وفرقه، وما نتج عنها من تبادل للتهم والتفسيق والتبديع وأحيانا التكفير بين الآراء المختلفة لم يُراعَ فيها الجانب الغائي والمقاصدي منها، ولنأخذ قضية صفات الله مثلا، وإلى النصوص التي تناولتها، والفهوم المختلفة التي دارت حولها «إذا نظرنا إليها نظرة تجزيئية ظاهرية فلن ينته الخلاف ولن يتوقف الجدل - بغير التي هي أحسن - بين المثبتين والمؤولين والمفوضين، وما يتبع ذلك من أحكام عقدية تخرج بها كل فرقة غيرها من الإسلام أو بالكاد تبقيها في دائرة الفسق والبدعة، غير أنه إذا نظرنا إليها نظرة مقاصدية كلية سنجد أن الجميع أراد تنزيه الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته بأي شكل من الأشكال، وقصد إثبات ما أثبت الله لنفسه من أوصاف الكمال والجلال على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى والاختلاف فقط في العبارة والوسيلة لأن الجميع متفق على أن اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه من أصول الاعتقاد وضروراته»².

كذلك مما يجب أن يتحرّاه الدرس العقدي مراعاة الفئات العمرية المختلفة، من حيث المحتوى والمضمون، ولنأخذ مثالين ونموذجين لذلك.

الفرع الأول: مقرّر مادة الحياة الإيمانية لمدرسة الحياة (طور المتوسط):

من المقرّرات والمناهج الدراسية التي حرصت على إبراز الجانب الغائي والمقاصدي من العقيدة الإسلامية، نجد مقرّر مادة الحياة الإيمانية لمستوى المتوسط (أولى والثانية والثالثة والرابعة متوسط)، بمؤسسة مدرسة الحياة الخاصة بالقرارة، ولاية غرداية، حيث روعي فيه الأسلوب المناسب لهذه الفئة العمرية، فلغته مبسّطة ميسّرة، وترتيب مواضيعه وطريقة عرضه متناغم كذلك، فهو يستعمل أسلوب القصّة لإيصال المعنى والغاية والمقصد إلى نفوس الناشئة، ويكفي أن القرآن الكريم قد استعمل هذا الأسلوب بكثرة، والمتخصصون في المجال يدركون تمام الإدراك ما لهذا الأسلوب من فوائد للتأثير في الأنفس³، كذلك شكل الكتاب والألوان واستخدام الصور اعتني به بشكل

¹ . نسيمه درار، نورة رجائي، تجديد الدرس العقدي وسؤال المقاصد، مجلة الشهاب، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد 09، العدد 01، ص 254

² . نفس المرجع، ص 69. 70

³ . تحدّث مالك بن نبي في الظاهرة القرآنية عن الأسلوب القصصي الذي تضمّنه القرآن الكريم، وأخذ قصة سيدنا يوسف عليه السلام كمثال، وقام بمقارنة بين الروايتين اللتين أوردتا القصة بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس، وخرج بنتائج يمكن الاستفادة منها كثيرا في موضوع تأثير القصص في النفس البشرية. انظر مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، المرجع السابق، ص 211 وما بعدها.

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

كبير بما يُجَبِّب لهذه الفئة، أمّا عن المضمون والمحتوى - وهو ما يهَمُّنا - نجد مواضيع هذه المادة تسعى لإبراز الجانب القيمي من العقيدة فنجد مثلاً في مستوى الأولى متوسط¹ عناوين الدروس التالية:

- كيف أعرف الله ربي؟
- آثار العلم بصفات الله عز وجلّ على سلوك المسلم
- أثر الإيمان في حياة الفرد والمجتمع
- ضرر ضعف إيماني

هذه بعض العناوين فيما يخصّ طور الأولى المتوسط أما في مستوى الثانية متوسط² نجد العناوين التالية مثلاً:

- لماذا خلقتني ربي
- الجنة مصيري إن أحسنت
- النار مصير من أساء
- أخاف عذاب ربي وأرجو رحمته
- ترقيني للآخرة يعينني على الاستقامة

كذلك نجد في مستوى الثالثة متوسط³ العناوين التالية:

- مكانة القرآن الكريم في حياتي
- مكانة السنة النبوية في حياتي
- العلم والعمل الصالح قوة للمؤمن
- التقليد الأعمى
- المعصية وأثرها في حياة المؤمن
- توبتي سبيل نجاتي

كذلك نجد في مستوى الرابعة متوسط⁴ العناوين التالية:

¹ .نخبة من الأساتذة، مقرر مادة الحياة الإيمانية للسنة أولى متوسط، بمدرسة الحياة، نشر: جمعية التراث - القرارة - غرداية - الجزائر، طبعة سنة

2017، ص 15 - 28 - 46 - 52

² .نخبة من الأساتذة، مقرر مادة الحياة الإيمانية للسنة الثانية متوسط، المرجع السابق، ص 16 - 44 - 50 - 64 - 69

³ .نخبة من الأساتذة، مقرر مادة الحياة الإيمانية للسنة الثالثة متوسط، المرجع السابق، ص 16 - 24 - 36 - 70 - 77 - 84

⁴ .نخبة من الأساتذة، مقرر مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة متوسط، المرجع السابق، ص 22 - 30 - 37 - 44 - 79 - 93

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

- راحتي في سلامة قلبي.
- أثر القدوة الحسنة في حياتي.
- أسس علاقتي بغيري
- نجأتنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- لا أتعصب ولا أستهزئ بغيري.
- توضيحي استمرار لحضارة أمتي

وسنأخذ بعض النماذج للمحتوى التفصيلي لهذا المقرر وسنأخذ في ذلك ثلاث عناوين الدرس الأول بعنوان: آثار العلم بصفات الله عز وجل على سلوك المسلم، للسنة الأولى متوسط، الدرس الثاني بعنوان: لا أتعصب ولا أستهزئ بغيري، للسنة الرابعة متوسط والدرس الثالث بعنوان: أسس علاقتي بغيري، للسنة الرابعة متوسط كذلك

وسنبداً بالدرس الأول: آثار صفات الله عز وجل على سلوك المسلم: نجد في هذا المحتوى ما يلي: «الحكم المستفادة من معرفة صفات الله تعالى: تعظيم الله تعالى وتنزيهه عن كل نقص، التخلق بصفاته تعالى التي نستطيع التأسي بها: كالعدل والرحمة والكرم»¹، «وآثار العلم بصفات الله على سلوك المسلم:

تعظيم الله من خلال معرفة قدرته، الخوف منه ومراقبته والثقة به والتخلق بأخلاقه سبحانه عز وجل»²

والدرس الثاني: لا أتعصب ولا أستهزئ بغيري: نجد في هذا المحتوى ما يلي: «من صور التعصب: التعصب المذهبي والتعصب العرقي أو القومي أو القبلي والتعصب الفكري والتعصب الرياضي»³،

والدرس الثالث: أسس علاقتي بغيري نجد في هذا المحتوى ما يلي: «صور علاقة المؤمن مع غيره: تختلف علاقة المؤمن مع غيره باختلاف الدوائر قربا وبعدا من البيئة التي يعيش فيها منها:

1. علاقة المؤمن بالمؤمن الموقف: تتميز بالحب في الله والتراحم والتناصح والتعاون
2. علاقة المؤمن بالمسلم العاصي: الأصل بين المسلمين - الملتزمين أمر الشرع - هو الحب في الله، وغيرهم من العصاة والمنافقين البراءة والبغض في الله، إلا أن هذه العلاقة يجب أن لا تتغير من الحب إلى البغض إلا بعد التثبت ونصح العاصي إلى أن يتوب

¹ نخبه من الأساتذة، مقرر مادة الحياة الإيمانية للسنة الأولى متوسط، المرجع السابق، ص 30

² نفس المرجع، ص 31

³ نخبه من الأساتذة، مقرر مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة متوسط، المرجع السابق، ص 82 - 83

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

3. علاقة المؤمن بعموم المسلمين: تجمعهم معهم كلمة التوحيد وما جاء به الإسلام من الأخلاق وإن تفرقت بهم الأزمنة والأمكنة واللغات والأنساب، وعليه أن يحذر مما يهدم علاقته بإخوانه بما يفسدها
4. علاقة المؤمن بغير المسلمين: تتضمن أخلاقاً منها: العدل والإنصاف، والبر والإحسان والأصل في هذه العلاقة هي الدعوة والنصح وتبادل المنافع والمصالح الدنيوية¹

في الأخير نلاحظ في هذا المحتوى والمضمون الحرص على تعزيز الجانب القيمي والأخلاقي والروحي للعقيدة الإسلامية في نفوس النشء، وربما هذا لا يتأتى مع الجانب المعرفي والعقلي والبرهاني، كما رأينا في درس آثار معرفة صفات الله على سلوك المسلم، ودرس: لا أتعصب ولا أستهزئ بغيري، كل هذا مراعاة لهذه المرحلة العمرية، التي أحوج ما تكون إلى البناء النفسي والخلقي والروحي، منها إلى الجدالات والخلافات الفرعية، ونلاحظ أيضا كيف يؤسس هذا المحتوى الإيماني ويغرس في نفوس النشء القيم المؤطرة لعلاقة المؤمن بغيره، من خلال درس أسس علاقتي بغيري، فإذا استطاعت المنظومة التربوية إشباع هذا الجانب في مثل هذه المراحل المبكرة من العمر، يكون الخوض في المسائل المعقدة في المراحل العمرية المتقدمة محمود العواقب، لأن النفس والوجدان قد ارتوى بأهميات القيم، لكن الخطأ والخطر أن يبدأ المتعلم دراسته في العقيدة والإيمان من المسائل الجدالية والخلافات الفرعية، دون أن يتشبع بالكليات والقيم والمقاصد، فيكون ضرره - لا قدر الله - حينئذ أكبر من نفعه.

الفرع الثاني: مقررات مقاييس تخصص العقيدة الإسلامية في الجامعة

فإذا انتقل هذا المتعلم من الطور التعليمي والتربوي إلى الطور الأكاديمي والجامعي، وتخصص في مجال العقيدة الإسلامية، وجب عليه أن تتفكك في ذهنه أربع مجالات أو مستويات أو مساقات تناولت قضايا العقيدة²

المساق الأول: موضوع العقيدة في مساقها الإيماني: وهو الحد الأدنى من المطلوب للتفريق بين الإسلام والكفر، وهو المطلوب من كل من أراد أن يدخل إلى دائرة الإسلام، وبه يمتاز المسلم عن الكافر

المساق الثاني: موضوع العقيدة في مساقها العلمي: والذي نسميه علم العقيدة، وهذا المجال الذي يبدأ فيه العقل البشري بالتحرك من حيث الاجتهاد والتفسير والتقسيم والتبويب إلخ، والقضايا التي تُطرح في هذا المساق لا

¹ نفس المرجع، ص 37، سنضع في الملاحق صورا لهذه الدروس النماذجية

² هذا التقسيم المنهجي في قضية مجالات تناول العقيدة من إبداعات الدكتور محمد عياش الكبيسي، ذكر هذا في برنامج إعلامي، بعنوان قراءة ثانية، وهو عبارة عن سلسلة من الحلقات الفكرية، يديرها الدكتور علي السند، وهذه الحلقة التي أخذنا منها هذه الفكرة عنوانها: **العقيدة الإسلامية كيف نفهمها**، وهذا رابط الفيديو: <https://youtu.be/sRX845G58wE>، تاريخ الدخول: 12 أوت 2023 على الساعة 18:45، وبدأ في الحديث عن هذه المجالات بدءا من الدقيقة الثامنة وثلاثين ثانية تقريبا من وقت الفيديو.

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

يمكن أن نطالب كلّ الناس بالإيمان بها، فمثلاً أقسام التوحيد وأبوابه وفروعه المختلفة لا يمكن أن نطالب كلّ الناس بالإيمان بها، فهي تعين المتخصّصين في التصنيف والتفسير والشرح

المساق الثالث: مجال علم الكلام وهو العلم الذي من خلاله يسعى المؤمن للدفاع عن العقائد الإيمانية بالحجج العلمية والعقلية وهذا المجال هو مجال بشري تتسع فيه دائرة الاجتهاد لاستخدامه العلوم المختلفة (المنطق - الفيزياء - الكيمياء - الطب - الصيدلة إلخ)، على عكس المساق السابق الذي يكون فيه التدخّل البشري ضئيلاً، وبالتالي فإن في هذا المساق - علم الكلام - تكثر فيها زوايا النظر إلى هذه القضايا، فلا يطلب فيها الاتفاق على رأي كما لا يطلب فيها عدم الاختلاف، لأنّه جهد بشري.

المساق الرابع: مجال الفلسفة الإسلامية، في هذا المجال يكون الباحث حرّاً ومحايداً من حيث المنطلق، حرّاً من حيث الاستخدام المحض للعقل، ومحايداً في سبيل البحث عن الحقيقة، وهذا ما يميّزه عن المجال السابق الذي ينطلق فيه الباحث بمسألة لإثباتها ودفع الشبه عنها، وهذا المجال - الفلسفة الإسلامية - يمكن الاستفادة منه بما يخدم العقيدة والإيمان، كما لا يمكن قبوله بالإطلاق أو رفضه بالإطلاق كذلك، لأن الفلسفة هي المسلك الذي يسلكه الباحث لإرواء عطشه العقلي، وظمأه المعرفي، فقد يصل إلى نتائج تتفق مع العقيدة وقد لا يصل.

وقد كان لنا في مقرّراتنا الجامعية حظاً من هذا التقسيم البيداغوجي، لمواضيع العقيدة، خلال الأطوار التعليمية المختلفة، (ليسانس - ماستر)، وهذا من خلال المقاييس المختلفة مثل: الفرق الإسلامية - علم الكلام - الرؤية الكونية - منهج القرآن في عرض العقيدة - الطرق الصوفية - الفلسفة الإسلامية ... إلخ، لكن تناولنا إياها كان بطريقة مبعثرة ومتناثرة يعوزها الربط المنهجي، وبالتالي نادراً ما يتخرّج الطالب وقد تكوّنت لديه خارطة معرفية تنظّم هذه الخزينة المعرفية تنظيمًا منهجياً، بحيث يسهل عليه الاستفادة منه في المراحل المتقدمة من البحث العلمي.

المطلب الثاني: شروط من يتولّى تدريس هذا المحتوى.

اعتنى العلماء في القديم بالتأليف في هذا المجال كثيراً، نذكر على سبيل المثال لا الحصر آداب المعلم والمتعلّم للإمام أبي حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين¹، وكذلك الإمام إسماعيل الجيطالي في كتابه قناطر الخيرات²، وفي هذين المثالين، نجد أنّهما قد وضعاً باب العلم وفضله في أوّل أبواب كتابيهما، وهذا لمكانة العلم والعلماء في الدين الإسلامي.

¹. أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربيع العبادات، كتاب العلم، الباب الخامس: في آداب المتعلم والمعلم، دار المعرفة، بيروت، ج 01/ ص

². أبو طاهر إسماعيل الجيطالي، قناطر الخيرات، فطرة العلم، الباب السابع: في آداب المتعلم والمعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: سيد

كسروي حسن وخلاف محمود عبد السميع، الطبعة الأولى 2001، ج 01/ ص 94

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

وإذا كانت العملية الدعوية لا تتم إلا بتوفر شروطها وأركانها، كما يقول المتخصصون في علم الدعوة وهذه الأركان تمثل حقيقة الدعوة¹ وهي:

- أ- الداعي
- ب- المدعو
- ج- موضوع الدعوة

فإن مجال التربية والتعليم لا يقل أهمية عن مجال الدعوة، بل إن هذا فرع من ذاك، ذلك أن العملية التربوية إذا حدّد الدين الإسلامي أطرها وغاياتها، واستقت من مصادره مادتها المعرفية أصبحت أسلوبا من أساليب الدعوة، وإذا اعتبرنا المحتوى العقدي الذي تناولناه سابقا هو موضوع الدعوة فإنّ ناقل هذا المحتوى أو الأستاذ الذي يتولّى تدريسه هو بمثابة الداعية، فالأستاذ هو داعية بحق إذا تحلّى بالصفات والسمات اللازمة لمهمته، ونجاح العملية التربوية منوطة به، وهذا ما يؤكّده خبراء التربية، «فالمدرس هو عماد العملية التربوية، وهو من العناصر المهمة التي تزيد من كفاية وفاعلية أي نظام تربوي لما يؤديه من دور فاعل في تحقيق الأهداف المرسومة للأنظمة التربوية»²، وإذا أضفنا إلى هذا محورية العقيدة الإسلامية في التدريس تأكّدت مسؤوليته أكثر فأكثر وأصبح الاهتمام به أولى وأوكد، «ذلك أنّه يعتبر خليفة للرسول ﷺ ولسائر الرسل، لأنهم جاؤوا بعقيدة واحدة»³، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ {الأنبياء 25}.

في هذا العنصر من البحث سنتحدّث عن الشروط اللازمة توفّرها في من يتولّى تدريس العقيدة الإسلامية بصفة عامة، وفي التدريس الجامعي المتخصص بصفة أخص ذلك أنّ الأستاذ حينئذ يصبح مرجعا، وعلى يده تتكوّن أجيال الخلف التي تأخذ دوره في تدريس من يأتي بعدهم.

وإذا أخذنا تقسيم الفئات العمرية السابق بعين الاعتبار، فسيتحدّد عندنا حينئذ نمطان من المُدرّسين: نمط للمبتدئين أو العوام ثم نمط للمتخصّصين، وقد يبدو هذا التقسيم اختزاليا غير مركّب ذلك أنّ المجتمع يحتوي أكثر من هتين الفئتين، فنصف المبتدئين أو العوام يمكن أن يفصل أكثر وأكثر فقد يتفرّع عنهما المتعلّمون والأميون وهؤلاء كذلك يمكن أن يقسموا حسب أعمارهم (طفولة - شباب - كهولة) مثلا، أو حسب الجنس (إناث

¹ . محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في

ضوء النقل والعقل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م. 1415هـ، ط03 / ص 152

² . عاذلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1112 .

³ . محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 104

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

(وذكور) إلخ، لكن استعملنا هذا التقسيم، لتعلّقه بالمستوى التعليمي أولاً - وهذا مناط بحثنا - ولتسهيل تنظيم البحث ثانياً، كذلك متناسب مع التركيب الاجتماعي العصري، والتدرّج التعليمي المعاصر، (ابتدائي - متوسط - ثانوي - جامعي)، لذلك يمكن أن نضيف تقسيمات هذا التدرّج العلمي للنمطين السابقين، ليصبح التقسيم بالشكل الآتي:

أولاً: نمط للمبتدئين والعوام ويندرج ضمنهم طور الابتدائي والمتوسط.

وثانياً: نمط للمتخصصين ويندرج ضمنهم طور الثانوي والجامعي.

الفرع الأول: شروط المدرّس للمبتدئين والعوام:

وهذا أقرب ما يكون إلى الداعية أو الواعظ أو المربيّ ، «والداعية هو شخص لديه علم وفكر وهمّ إصلاحي، وعمله الأساسي هو التبليغ والتذكير والهداية ودفع الناس في طريق الصلاح، لكنه لا ينتج في الغالب الأفكار والمفاهيم، كما أنه لا يقوم في الغالب بإجراء الدراسات والبحوث، لأنّ همّه منصرف إلى الحركة اليومية بين صفوف الجماهير وتجمعاتهم والداعية دون المصلح في استيعابه لمشكلات الأمة، وفي سعة أفقه وحركته، ودون العالم في معرفة أحكام الشريعة وآدابها، وهذا حكم أغلبي وليس عاما شاملاً»¹.

هذه الخاصية التي تميّز الداعية عن العالم والمتخصّص، والتي تجعله ألصق بالواقع منه إلى إنتاج المفاهيم والأفكار، قد تحصر شروطه وصفاته في الجانب السلوكي والأخلاقي أكثر منه في الجانب المعرفي والتحليلي - وهذا لا ينقص من قيمته طبعاً - ذلك أنّه يمثّل القدوة لهؤلاء الناس، فالعوام أقرب ما تكون إلى الاتباع والانقياد، منه إلى التحليل والتركيب والمساءلة وطرح السؤال.

لذلك سنبرز بعضاً من هذه الشروط في هذا الصّنف من المدرّسين:

أولاً: الإخلاص لله والإيمان بما يدعو إليه

أن يخلص النية لله أولاً في عمله ويكون دائم الاتصال به عزّ وجلّ ليستمدّ منه العون والتوفيق، ويكون مؤمناً بما يدعو إليه، فبقدر هذا الإيمان والإخلاص في عمله ينجح في مهمته التربوية، وبقدر ضعف هذا الإيمان

¹ . حاول الأستاذ عبد الكريم بكار، وضع فواصل تعريفية بين مصطلحات تطلق على الأشخاص الذي يعملون في حقول المعرفة والإصلاح والإبداع المختلفة، ومن أهم تلك المصطلحات: (العالم)، (المصلح)، (الداعية)، (المتخصّص)، (المثقف)، (الفيلسوف)، والمتتبع لهذه التعريفات التي أوردها يلاحظ أن هناك نوعاً من التدرّج في سلّم المهام لكل مصطلح حسب درجة المعرفة التي يصل إليها، ومن خلالها تتحدّد وظيفته الاجتماعية، وتعريف مصطلح الداعية أخذ منه، انظر: عبد الكريم بكار، تكوين المفكر، المرجع السابق، ص 18

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

والنظر إليها على أنها مهمة ثانوية، يتهاون فيها، ويتكل فيها على غيره، ويعطيها من فضل وقته¹، ويكفيها في هذا الاستشهاد بموقف الرسول ﷺ لما أتت قريش عمه أبا طالب تطالبه بأن يأمر ابن أخاه أن يكف عنهم فكان جوابه ﷺ لهم بعد أن نظر إلى السماء فقال: «مَا تَرَوْنَ هَذَا الشَّمْسَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِأَقْدَرُ أَنْ أَدْعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً»، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبْنَا ابْنَ أَخِي قَطُّ فَأَرْجِعُوا²

ثانيا: شخصية الأستاذ

«يجب أن يكون الأستاذ المربي ذو شخصية قوية يتميز بالذكاء والموضوعية والعدل والحزم والثقة بالنفس والحيوية، والتعاون، والميل الاجتماعي، يحب العمل مع الطلبة وهو شخص سمح في تقدير ظروف الآخرين ودوافعهم، ويتعامل معهم بطريقة ديمقراطية»³، وهذا الميل الاجتماعي يقتضي مخالطة الناس لدعوتهم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وقد جاء في الحديث الشريف: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»⁴

ويحرص على أن يكون قدوة في كل جانب فمن حيث الهندام يكون صحيحا وقويا ونظيفا⁵، ومن حيث الأخلاق يمتاز بالأخلاق الحسنة فهي أهم صفة للمربي والمعلم والمرشد في جانب صلته بالمعلم⁶، ويكون قدوة كذلك من حيث الالتزام والعمل بما يعلم، وإن من أثر انفصال العلم عن العلم أن يلاحظ المتعلمون ذلك في معلمهم فيقولون: «لو كان هذا صادقا فيما يدعونا إليه، لطبق ذلك على نفسه، وعلى من يلوذ به وكان أسرع الناس إليه، فما باله يحدثنا عن الإسلام ومحاسنه ولا يظهر أثره ذلك في نفسه وذويه»⁷ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ {الصف 2 - 3}

¹. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، المرجع السابق، ص 155

². أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا نشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م، ج 03/ ص 668/ رقم 6467

³. عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1122.

⁴. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 2001 م، ط 01/ ص 64، رقم 5022.

⁵. عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1123

⁶. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، المرجع السابق، ص 161

⁷. نفس المرجع، ص 159

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

وينبغي كذلك أن يكون المعلم متكامل الثقافة واسع الاطلاع فلا يكتفي بالمنهاج المقرر بل يوسّع من مداركه وعلمه، وأثناء إلقائه الدرس يلتزم باللغة العربية الفصحى، لأنها الباب التي ستفتّق للطلبة الملكات في المستقبل للتخصص في الميدان الشرعي ذلك أن اللغة العربية هي الأداة التي لا يستغني عنها طالب الشريعة¹.

ثالثاً: الحكمة في الأسلوب:

ينبغي على المعلم أن يكون حكيماً في أداء مهمته، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ {النحل 125}، «والحكيم هو الذي يحسن الاختيار المناسب فيضع الشيء في محله»² قال تعالى :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ {البقرة 269}، فيختار لذلك أحسن الأساليب والوسائل والمناهج³، وتظهر هذه الحكمة في مظاهر عدّة يمكن أن نورد بعضها:

- ترتيب الأولويات وتقديم الأهم على المهم
- التدرّج في تطبيق الأولويات
- مراعاة ظروف وأحوال المتعلّمين الفردية والجماعية

هذه إذن بعض الشروط التي وجب توفّرها في المدرّس الذي يعنى بتدريس هذه الفئة من الناس، وقد يسأل سائل ما علاقة هذا بموضوعنا (وحدة الأمة)، ولماذا حصّرها في هذه الفئة فقط، وهذا تساؤل وجيه، إذ تكمن أهمية هذه الشروط في أنّها الرصيد القيمي الذي ينقله المعلم للمتعلم، فإذا تدرّج المتعلّم في سلك التعليم وتخصّص في علم العقيدة بعد ذلك، سيكون همّ وحدة الأمة، ووحدة الصف، وتآلف المسلمين وتآزرهم، وأخوة المؤمنين، من أمّهات القيم التي ستملأ وجدانه وتؤطر فكره وتحرك جوارحه للعمل بعد ذلك.

الفرع الثاني: شروط المدرّس للمتخصصين.

الشروط التي سنتحدّث عنها في هذا الصنف لا يعني أنّها تستقلّ تمام الاستقلالية عن النمط السابق، بل هي إضافية للشروط السابقة، وأكثر تركييبية منها.

¹ - عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، المرجع السابق، ص 1123

² - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، المرجع السابق، ص 160

³ - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، المرجع السابق، ص 247

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

والمتخصص «هو طالب علم صرف قدرا من عمره في دراسة تخصص من التخصصات العلمية ... وإذا برع في هذا التخصص حتى فاق أقرانه، أو صار بين المتفوقين منهم صار عالما»¹ ونعني بالمختصين هنا الذي يتخصصون في الجامعات الإسلامية تخصص علم العقيدة بعد التدرج السابق في مضمار التعليم ففي هذه الفئة تكون مهمة المدرّس أؤكد وأحرص، ذلك لأنّه سيصبح مرجعا لهؤلاء الطلبة، فالنجاح النهائي لمهمة تدريس العقيدة تبدأ من هذه المرحلة²

«فمدرّس العقيدة يمتلك في هذا العصر أكبر الأسباب، وتحيط به جملة من الوسائل العلمية التي تجعله من أحسن الناس موقعا، ومن أكثرهم أثرا وإسهاما في إعادة الوحدة إلى المسلمين، ونشر الوعي الإيماني والحضاري بضرورتها»³ ويمكن أن نبرز بعضا من هذه الشروط حسب ما لا حظته وسجلته بعض الأساتذة في هذا المجال⁴:

أوّلا: الوعي بالواقع العقدي والفكري:

لا بد على أستاذ العقيدة في الجامعة أن يعيش بإخلاص وصدق هاجس وحدة الأمة وعليه يجب أن يكون ملّما بالخارطة الفكرية والعقدية والمذهبية لبلده، وتختلف هذه الخارطة باختلاف البلد الذي يدرّس فيه الأستاذ وإذا أردنا أن نمثّل بوطننا الجزائر مثلا: «فسنجد أنّ تركيبة الطلبة بالنسبة إلى الجامعة الجزائرية وخاصة في كليات العلوم الإسلامية هو مرآة عاكسة للتركيبة الاجتماعية، التي يمكن ملاحظة تركيبها المذهبية كما يأتي:

أوّلا: الأشاعرة انتماء عقديا والمالكية فقهيّا: باعتبار السواد الأعظم في المجتمع الجزائري، وبحكم الوجود التاريخي، والتراث الفكري الجزائري الذي في غالبه أشعري، وما يزال، وترعاه مؤسسات متعدّدة.

ثانيا: الإباضية كذلك باعتبار التاريخ والوجود الفعلي لهم منذ فجر تاريخ الإسلام، والحواضر التي عمروها، وما أسهموا به في تاريخ الوطن.

ثالثا: المدرسة السلفية في فقهها الحنبلي، وإن كان هذا متأخرا وحديثا، مع امتداد انتشار هذا المذهب في البلاد الإسلامية وخاصة منها العربية.

¹. عبد الكريم بكار، تكوين المفكر، المرجع السابق، ص 17

². محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 104

³. نفس المرجع، ص 109

⁴. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 105

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

يضاف إلى هذه التركيبة العقدية التركيبية السلوكية التي تظهر أيضا تصورات في شكل الممارسة الفعلية للتدين، بين العقلية منها والأثرية والصوفية»¹.

كلّ هذه العناصر تساهم في تكوين البنية الفكرية والثقافية المركّبة للمجتمع الجزائري²، «إذا جهل الأستاذ واقعه أو تجاهله لا يمكنه العمل على إصلاحه، بل ربّما أصبح أداة طيعة لمن يريد للأمة فرقتها، فالوعي بالواقع شرط أساس في نجاح تبليغ الأفكار، من خلال إدراك المنهج الأسلم في الوصول إلى النتائج بأقل التكاليف»³.

ثانيا: نبذ التحيز والتعصّب:

فإذا أقررنا أنّ تركيبة الطلبة في الجامعة تعكس التركيبة الاجتماعية للبلد، فلا ريب أن هذا سيثير إشكاليات لدى الطلبة حول المقرّر والمحتوى الذي يدرّس في الجامعة، وقد تتطرق تساؤلات في أذهان الطلبة، خاصة في السنة الأولى من الجامعة من قبيل:

«لماذا أدرّس فِكرا لا أنتمي إليه؟ لماذا يُنكر وجودي ويُجاهل وضعي؟ أليس لي حق في وطني؟ بل إنّ مذهبي هو الصواب يجب أن يكون هو السائد، مذهبي أولى أن يبنى على وفقه برنامج العقيدة والفقه إلخ، وربما تطوّر الأمر إلى مراحل متقدّمة من اتخاذ مواقف عندما تتنامى التساؤلات وتصبح مبررات لسلوك معاد، على شكل مناظرات وإحياء التاريخ القديم بكل سلبياته، والعيش على فكر العصور السابقة بذهبيّتها وحديديّتها الصدى أحيانا»⁴.

والخلفيات الفكرية للأساتذة وتكويناتهم القبلية كذلك ستثير إشكاليات عن مدى تأثيرها على المحتوى والمضمون الذي سيقدم لهذه التركيبة الطلابية المختلفة المشارب⁵، فالأستاذ ليس آلة صماء تتلقّف المقرّر الدراسي بحيادية وتلقّيه على الطلبة بحيادية، وإنما حتما سيتلوّن بتفكيره وتحيزاته القبلية.

¹. مصطفى وينتن، إشكالية التحيز الداخلي في تدريس العلوم الإسلامية وأثره على التحصين الفكري والعقدي، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور العلوم الإسلامية في إرساء الهوية ومواجهة التحديات المعاصرة، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 04 - 05 ماي 2010م، ص 08، (هذا التقييم للصفحة بالنسبة إلى المقال فقط ولا يندرج لتقييم المنشور الذي نشر أعمال الملتقى).

². طه كوزي، صورة العصر، دار كتابك، الجزائر، 2016، ط 02 / ص 92.

³. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 105.

⁴. مصطفى وينتن، إشكالية التحيز الداخلي في تدريس العلوم الإسلامية وأثره على التحصين الفكري والعقدي، المرجع السابق، ص 08.

⁵. نفس المرجع، ص 09 - 10.

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

لذلك ينبغي على الأستاذ الجامعي، أن يكون واعياً بكلّ هذه المعطيات، وبالتالي لا يتحيز إلى تيار دون آخر في عملية التدريس، فتتحول مهمته الأساسية - الدعوة إلى الله - سواء بوعي منه أو بغير وعي، إلى الانحياز والتبشير بالمذهب والتيار الفكري الذي ينتمي إليه، أو الحزب أو التنظيم الموالي له¹.

فهذه البيئة العلمية من المفروض أن تساعد على إنماء القدرة والملكات على التحليل والمقارنة بين المواقف المتباينة، وتخصيب الفكر وإنضاجه حتى يصبح في استيعابه أكثر شمولية وتوازناً وأوسع رحباً، وهذه الملكات كلّها لا يمكن أن تنمو وتزدهر في محيط التحيز والانحياز².

ثالثاً: التزام توثيق المعلومة من مصادرها:

كذلك من الشروط التي يجب أن تتوفر في الأستاذ الجامعي أن يتحرى المعلومة من مصادرها، خاصة بما يتعلّق بالآراء المذهبية، وعدم الاكتفاء بالمصادر الموجهة للآراء، وإنما بالعودة إلى المصادر التي أنتجت هذه الآراء والمواقف³، هذا الاطلاع هو الذي يكسب المدرس تصوّراً سليماً صحيحاً عن حقيقة الآراء فإذا غفل الأستاذ عن هذا الشرط أو أهمله، فإنّه قد يساهم في نشر الأخطاء، وسيؤسّس لضعف تصوّر الآراء المتباينة، وظلمها والإجحاف في حقّها، وبالتالي سيفتح المجال للجدل العقيم الذي يزرع الأحقاد والضغائن، ويوسّع الفجوة بين أبناء الأمة الواحدة.

وهذا يقتضي كذلك أن يلتزم الأستاذ القول في حدود العلم والتوقف عند الجهل بالمعلومة وعدم نشرها للطلبة دون التأكد من صحتها عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ {الإسراء 36}، وهذا ضابط أخلاقي يؤكّد عليه العلماء المسلمون، وسيرفع من وتيرة البحث العلمي، ويعلي من مستواه، ويفتح المجال للاستزادة في العلم، وتجعل المدرّس لا يستكبر على البحث عن المعلومة أين يجدها، ويسعى باستمرار إلى تصحيح معلوماته وغربلتها، وهذا التصحيح يكون سبباً في بعث روح الوحدة من

¹. مُجَدُّ أَبُو الْفَتْح الْبِيَانُونِي، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في

ضوء النقل والعقل، المرجع السابق، ص 352

². مُجَدُّ بَابَا عَمِي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 106

³. في بداية مشواري في الجامعة لم أكن أستسيغ هذا الحرص الزائد والاهتمام المبالغ فيه من الأساتذة على الإحالة إلى المصادر والمراجع الأصلية للآراء وضرورة التوثيق والتهميش لها على حساب المضمون فيما يتعلّق ببحوث السداسي وكنت أضجر منه، لكن كلّما تقدّم الطالب في المراحل تبين فوائدها هذا الحرص، وضرر إهماله.

الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة

خلال كسب القلوب، ونشر التسامح بين أبناء الأمة كما أنّ هذا الخلق سيكون كفيلا بانتقاله إلى الطلبة لا شعوريا، لأن الأستاذ لا يقدم معارفا فقط، وإنما يقدم - بدرجة أولى - قيما تؤطر هذه المعارف¹.

¹. محمد بابا عمي، مصطفى وينتن، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 107 - 108.

الخاتمة

خاتمة

خلصنا في هذا البحث إلى نتائج أهمها:

- توحيد الأمة لا يعني إلغاء المذاهب، فالأمة ولا شك مرتبطة بتراثها، فإلغاء المذاهب يعني إلغاء هذا التراث، ولا يوجد أمة تبدأ من الصفر، وإنما لا بد من رصيد حضاري تبني عليه حاضرها، وترسم معالم الطريق لمستقبلها
- أيّ مقارنة لفكّ شفرة العلاقة بين أصول الدين وأصول المذهب ستخضع بدرجة كبيرة لذاتية صاحب المقاربة، ذلك لأنه سيكون بلا شكّ منتميا إلى أحد المذاهب، مما سيصعب من مأمورية هذا الجهد
- كذلك هذه المقاربات ستكون دائما معرّضة للنقد والتطوير والمعالجة، ولا يمكن أن تأتي بمقاربة أو رؤية أو نموذج شامل ونهائي وقاطع، ذلك لأنّ العملية هي مقارنة المطلق بأدوات النسبي، والنموذج هو نحت بشري، فبالتالي سيكون خاضعا دوما للمساءلة والنقد والدحض.
- حديث الفرقة الناجية لا يمكن إلغاؤه، فهو لا يزال قابعا في بطون كتب الحديث، فمهما حاولنا إزاحته عن أعيننا في سبيل توحيد الأمة، فإنّه لا زال يشكّل المخيال والإطار المرجعي لكثير من المسلمين، في وعي الذات والنظر إلى الآخر
- حديث الفرقة الناجية يمكن أن يستفاد منه لقراءة تراث الأمة بالمنظور السُّنني، والاستفادة من هذه القراءات لرسم معالم الطريق في المستقبل بما يخدم أفق الإسلام في قبل المذهبي.
- ضرورة الاعتناء بالدرس العقدي من حيث المحتوى والمضمون ومن حيث الشخص الذي يتولى مهمة التدريس، بما يخدم وحدة الأمة مع مراعاة المراحل والفئات العمرية لذلك، وقد أخذنا نموذج مقرر الحياة الإيمانية لمرحلة المتوسط بمدرسة الحياة.

التوصيات:

- توليد مقاربات وحدة الأمة يجب أن يكون ضمن مشاريع جماعية، تضمّ باحثين من مختلف المذاهب، ومثل هذا الكتاب المؤلّف من الأستاذين الدكتور مُجَدِّ بابا عَمِّي والدكتور مصطفى وينتن، من جهة هو لبنة في سبيل تشييد هذا الصّرح إلّا أنّ الملاحظ عليه أنّ مؤلّفَيْهِ ينتميان لنفس الدائرة والمذهب (المذهب الإباضي)، فياحبذا لو كانت مثل هذه الجهود تُعجن وتُطبخ في مواقع متعدّدة، وتسقى من موارد ومشارب متنوّعة
- ومن جهة أخرى يعتبر الكتاب نقدا داخليا للبيت الإباضي، فقد صنع الكتاب ردود أفعال متباينة داخل هذه الدائرة، فمن جهة هناك من اعتبر هذه المقاربة تنازلا عن أصول المذهب، وهناك من اعتبرها سبيلا لربط

جسور التواصل مع المذاهب الأخرى، وهذه الخطوة تعتبر مثالا لضرورة المراجعة النقدية للذات والمساءلة الداخلية في كل مذهب.

— وجوب الاعتناء بحديث الفرقة الناجية دراسة ونقدا وتحليلا، وذلك عبر مشاريع تضم تخصصات مختلفة (علوم مصطلح الحديث - علم الجرح والتعديل - بالإضافة إلى تخصصات العقيدة والتفسير والتاريخ والاجتماع ...)، لكن هذه المشاريع يجب أن تنطلق من منطق توحيد الأمة، وترسم من هذا الهدف الخطة لمعالجة هذا الحديث.

— ضرورة العناية بمقررات مادة التربية الإسلامية والإيمانية بما يخدم المقاصد الكبرى لهذا الدين، وعلى رأسها وحدة الأمة الإسلامية، ويجب أن يُتوخى فيها البعد التربوي والروحي والأخلاقي، فهي مقررات تربوية بدرجة أولى، وليست مجرد معارف تلقى للتلاميذ.

— أمّا بالنسبة للمتخصصين في العقيدة، فيجب أن تحرص الجامعة على توفير البيئة العلمية التي تساعد على إتماء القدرة والملكات على التحليل والمقارنة بين المواقف المتباينة، وتخصيب الفكر وإنضاجه، وتنمية الفكر الحرّ وهذا لا يتأتى في محيط الاستقطاب، والانحياز، والتعبئة، كما يقول علي عزت بيغوفيتش: «حين نعلم الإنسان التفكير فإننا نحرقه .. وحين نلقنه فإننا نضمه للقطيع».

ملحق الصور



مقرر مادة الحياة الإيمانية لطور المتوسط بمدرسة
الحياة بالقرارة - غرداية -

● أبني معاري

- **تعريف صفات الله تعالى:** « ما ورد من أسمائه الحسنی وما وصف به ذاته في القرآن الكريم والسنة الشريفة ».

مثل: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (22) ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (23) ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ سورة الحشر

- **الحِكم المستفادة من معرفة صفات الله تعالى:** بني المتخلق بأخلاق الله إن من أجل حِكَمِ الله تعالى في بيان صفاته بيان أثرها في خلقه، فدلائل وجود الله وقدرته بادية في كل مخلوقاته؛ منها:

أ- **تعظيم الله تعالى؛** بإثبات الكمال المطلق له من خلال الصفات الواجبة: كالحياة والعلم والقدرة...

ب- **تنزيه الله عن كل نقص؛** بنفي الصفات المستحيلة: كالجهل والظلم والعجز...

نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الأولى
متوسط: آثار صفات الله على سلوك المسلم

الحياة الإيمانية
ت- التخلو بصفات الله تعالى التي نستطيع التأسي بها؛ مثل
الرحمة، العدل، الكرم ...

آثار العلم بصفات الله على سلوك المسلم:

(1) تعظيم الله من خلال معرفة قدرته، قال الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى
أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة الروم: 50.

عزيزي الطالب . . انظر إلى قدرة الله ورحمته كيف أحى أرضاً
لا نبات فيها ولا شجر.



(2) **الخوف من الله ومراقبته:** إن الإيمان بقدرة الله وقوته وأنه
تعالى المتكبر الجبار المنتقم؛ يرسخ المهابة والخشية من الله تعالى ويجعل
منه رقيباً على نفسه وأعماله.

(3) **الثقة بالله:** إن اعتقاد العبد بأن الله هو الغني العزيز يجعله
واثقاً بالله لا يطمع في غيره مهما استغنى وتجبر.

(4) **التخلق بأخلاق الله:** إيمان المسلم بعفو الله وكرمه وحلمه
وجميع صفات الله التي يستطيع التأسي بها يجعله يتخلق بأخلاق الله

نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الأولى
متوسط: آثار صفات الله على سلوك المسلم



نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الأولى
متوسط: آثار صفات الله على سلوك المسلم

أحلل وأتعلم:

- 1- إلى من يعود أصل البشر؟ وماذا نتج عن التناسل؟
- 2- ما الحكمة من تعدد الأجناس؟ ومن أشرف التائب عند الله؟
- 3- ما رأيك حول الصراعات العرقية القائمة بين بعض القبائل والشعوب؟

أبني معارفي:

المعنى الإجمالي للآية:

يقرر الله تعالى في هذه الآية بأنه خلقنا كلنا من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بيننا في النسب، وجعلنا بالتناسل شعوباً وقبائل متعددة، ليعرف بعضنا بعضاً، وإن أكرمنا عند الله أشدنا تقوى له، والتقوى شيء قلبي لا يعلمه إلا الله.

كيف تكون علاقة المؤمن بغيره؟

بني الطالب؛ قبل أن نتعرف على صور علاقة المؤمن بغيره يجب أن نتصور صفاته أولاً.

صفات المؤمن: المؤمن هو الفرد الذي يبني ولا يهدم، يصل ولا يقطع، يعمر ولا يخرّب، فهو عنصر خير وصلاح وأمن واستقرار، فهو الذي يؤمن بأنه مسؤول عن كل فعل حقيق أو جليل ﴿فَوَرَبِّكَ

لَسَعَلَّاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الحجر: 92-93.

نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة

متوسط: أسس علاقتي بغيري

صَوْرُ عِلَاقَةِ الْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِهِ: تَخْتَلِفُ عِلَاقَةُ الْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِهِ بِاخْتِلَافِ الدَّوَائِرِ قُرْبًا وَبُعْدًا مِنَ الْبَيْئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا؛ مِنْهَا:

1- عِلَاقَةُ الْمُؤْمِنِ بِالْمُؤْمِنِ الْمُؤَقِّي: تَتَمَيَّزُ بِالْحَبِّ وَالْوَفَاءِ وَالصَّلَةِ الْوُثِيقَةِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ نُصْحٍ وَتَعَاوُنٍ وَانْسِجَامٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

2- عِلَاقَةُ الْمُؤْمِنِ بِالْمُسْلِمِ الْعَاصِي: الْأَصْلُ فِي الْمُسْلِمِينَ - الْمُلْتَزِمِينَ أَمْرَ الشَّرْعِ - الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَفِي غَيْرِهِمْ مِنَ الْعُصَاةِ وَالْمُنَافِقِينَ الْبَرَاءَةُ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ، غَيْرَ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يُغَيِّرُ عِلَاقَتَهُ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْحَبِّ فِي اللَّهِ إِلَى الْبُغْضِ فِي اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ التَّثَبُّتِ وَنُصْحِ الْعَاصِي إِلَى أَنْ يَتُوبَ.

3- عِلَاقَةُ الْمُؤْمِنِ بِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ: الْمُسْلِمُونَ شَبَكَةٌ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْحَقُوقِ الْمُتَبَادَلَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ تَجْمَعُهُمْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَمَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ الْأُزِمَّةُ وَالْأَمَكْنَةُ وَاللُّغَاتُ وَالْأَنْسَابُ؛ قَالَ ﷺ: «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ بِالْمَعْرُوفِ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ، وَيَتَّبِعُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَلِيُخَذَرَ الْمُسْلِمُ مِمَّا يَهْدِمُ عِلَاقَتَهُ بِأَخْوَانِهِ بِمَا يُفْسِدُهَا؛ قَالَ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ

نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة

متوسط: أسس علاقتي بغيري

4- علاقة المؤمن بغير المسلمين:

تتضمن علاقة المؤمن بغير المسلم أخلاقاً أبرزها: العدل

والإنصاف، البر والإحسان، قال تعالى ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ﴾ (8) المتحنة: 8. وأصل هذه العلاقة إنما هو: الدعوة والتصح، وتبادل المنافع والمصالح الدنيوية، والحقوق الخاصة كحقوق الجوار والمواطنة في إطار الشرع.

وأصل التعامل مع غير المسلمين عدم المحبة والمودة القلبية

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (22) المجادلة: 22. فلا مجال في ذلك

للتودد أو الانبهار والتأثر والاعتداء...

ولتعلم أن الإسلام لا يُجيز قتل الكافر المُسلم ولا الاعتداء عليه إلا إن قام بالاعتداء على المسلمين؛ ففي هذه الحالة وجب على المسلمين الرد والدفاع عن أنفسهم، لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ

إِغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاقْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا إِغْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (194) (البقرة: 194)

نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة

متوسط: أسس علاقتي بغيري

وهذا كله لا يمنع من أن نأخذ منهم الأخلاق الحسنة التي
امتازوا بها، والعلم النافع الذي يخدم المسلمين، فالحكمة
ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أولى بها.



نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة

متوسط: أسس علاقتي بغيري

ثانياً: حكم التعصّب:

حكم التعصّب يتبع نوع ذلك التعصّب:

1- التعصّب للحقّ وأتباعه؛ محمود. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: 56).

2- التعصّب لغير الحقّ؛ مذموم. لأنّه من الهوى (ما تميل إليه النفس وتشتهيه)، فقد ذمّ النبي ﷺ كلّ من يتعصّب لغير الحقّ، لقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ» سنن أبي داود.

فما هي صور التعصّب المذموم؟ وما هي أضراره؟

ثالثاً: صور التعصّب:

للتعصّب أشكالٌ مختلفة منها:

1. **التعصّب المذهبي:** هو أن يرى صاحب المذهب أنّ مذهبه المتبع هو الأصل والصواب الذي يجب أن يتبعه جميع الناس، وينظر إلى أصحاب المذاهب الأخرى نظرة احتقار واستخفاف.
2. **التعصّب العرقي أو القومي أو القبلي:** وهو التعصّب على أساس الجنس أو اللون أو اللغة، أو العشيرة أو البلد، أو الجهة، ... قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى» رواه أحمد.

نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة

متوسط: لا أتعصّب ولا أستهزئ بغيري

3. **التعصب الفكري:** هو الاستبداد بالرأي وفرضه على الجماعة، مع عدم تقبل النقاش، وإلغاء الرأي الآخر.

4. **التعصب الرياضي:** وهو الحب الشديد لفريق أو رياضة دون غيرها، مع التعصب المقيت نحوها، والألعاب الرياضية وسيلة وليست غاية، فلو أن الناس استمتعوا بفوائدها وبقضاء الوقت في مباحها لما تناقرت القلوب وتحاقدت فيما بينها ولما ضيعت أحكام الله.

رابعاً: أضرار التعصب:

للتعصب أضرار كثيرة يمكن إجمالها فيما يلي:

- 1- يشكّل خطراً على عقيدة المسلم في علاقته بإخوانه المسلمين وبغيرهم.
- 2- يشكّل خطراً على تاريخ الأمم وراثتها، إذ يزيّف الكتاب المتعصبون الحقائق عصبية لمللهم.
- 3- لا يمكن للمتعصب أن يرى الواقع على حقيقته؛ لأنه يرى ما يميل إليه، ولا يرى ما يرى غيره.
- 4- يقطع التسبيح الاجتماعي، ويوسع هوة الخلاف والنزاعات ويطيل أمدّها، ويقلّل فرص التوصل إلى حلول ناجحة.
- 5- يحرم الأفراد والمجتمع من التقدم والرقي.

خامساً: كيفية النجاة من التعصب:

والتحرر أيها الطالب التجيب من التعصب السلبي عليك بما يلي:
1- النظر إلى القول لا إلى قائله. وقد قال الله تعالى: **قوله الخالدة:**

نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة

متوسط: لا أتعصب ولا أستهزئ بغيري

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

سورة البقرة

- ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ 20
- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ 90
- ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ 5
- ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ 38
- ﴿يَسِّرْ لِلْكَافِرِ أَنْ تُولَّوْا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ 20
- ﴿وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَاجِهِ﴾ 43
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ 77
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ 73
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ 80

سورة آل عمران

- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ 7
- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ 72
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ 58
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ 59
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ 38
- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ 61
- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ 59
- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ 4
- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ 72
- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ 59

سورة النساء

- ﴿فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشَدًا فَأَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ 11
- ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ 78

- ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ 11
- ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ 21

سورة المائدة

- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ﴾ 3
- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ 72

سورة الأنعام

- ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ 62
- ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ 34، 35

سورة الأعراف

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ 76
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ 71
- ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ 73
- ﴿وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ 71
- ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ 71
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ 72
- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ 76

سورة الأنفال

- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ 73
- ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ 10
- ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ 61

سورة التوبة

- ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ 74
- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ 74

سورة يونس

- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ 78

سورة هود

78 ﴿وَلَيْسَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾

سورة يوسف

3 ﴿وَمَا يَوْمِنَ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

سورة الرعد

66 ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

66 ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾

76 ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

سورة الحجر

72 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

64 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

77 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾

سورة النحل

90 ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

4 ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾

62 ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾

76 ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

سورة الإسراء

78 ﴿وَيَذَعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

سورة الكهف

80 ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

78 ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

سورة طه

76 ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

72 ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾

سورة الأنبياء

7، 5 ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

- 5 ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾
 11 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾
 87، 72 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

سورة الحج

- 65 ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾

سورة المؤمنون

- 10 ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
 77 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾
 59 ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾

سورة الفرقان

- 76 ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾

سورة النمل

- 62 ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾

سورة الروم

- 59 ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾

سورة لقمان

- 80 ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

سورة الأحزاب

- 2 ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾

سورة يس

- 78 ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ {يس 77}
 77 ﴿وَأَيُّهُمُ الْارْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾

سورة الشورى

- 71 ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّن أَمْرِنَا﴾

سورة الزخرف

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ 4

﴿أَنَّهُمْ يَفْسِمُونَ بِرَبِّكَ أَخْضَرْتُمْ أَعْيُنَهُمْ وَمُعَاشَرَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ 75

سورة الحجرات

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ 3

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ 60

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ 58

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ 75

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ 61

سورة ق

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ 78، 72

سورة الذاريات

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ 77

سورة النجم

﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ 75

سورة القمر

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ 76

سورة الحديد

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ 3

سورة الصف

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ 90

سورة المعارج

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ 78

سورة الجن

﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ 62

سورة القيامة

64 ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾

35 ﴿وَجِوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَہَا نَاضِرَةٌ﴾

سورة المطففين

32 ﴿كَأَلَّا إِهَمَّ عَنْ رَبِّہُمْ يَوْمَئِذٍ لِّمُحْجُوبُونَ﴾

32 ﴿كَأَلَّا إِنَّہُمْ عَنْ رَبِّہُمْ يَوْمَئِذٍ لِّمُحْجُوبُونَ﴾

سورة البلد

78 ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

سورة العصر

78 ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾

فهرس الأحاديث

- 51 «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء».
- 51 «إنه يخرج من ضئضى هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً، لا يجاوز حناجرهم».
- 33 «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى يَبْقَى تُلُتُ اللَّيْلِ الْآخِرُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا».
- 54 «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة».
- 75 «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ».
- 52 «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ».
- 89 «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ».
- 31 «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته».
- 20 «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله ..».
- 89 «مَا تَرَوْنَ هَذَا الشَّمْسِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِأَقْدَرُ أَنْ أَدْعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً».
- 74 «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب، فيحطب، ثم أمر بالصلاة، فيؤذن لها ..».
- 4 «يُبْعَثُ أُمَّةٌ وَحْدَهُ».

فهرس الأعلام المترجم لهم

- 8 د. مُجَدَّ بَابَا عَمِّي
- 9 د. مُصْطَفَى وَبْنَتَن
- 43 عبد الوهاب المسيري
- 37 مالك بن نبي

فهرس المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

• مصادر السنة النبوية:

1. ابن الوزير اليماني، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م.
2. أحمد بن حنبل، **المسند**، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
3. البخاري، **الصحيح**، تحقيق: مُجَدَّ زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُجَدَّ فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
4. أبو بكر البيهقي، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخرّيج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
5. الحافظ العراقي، **تخرّيج أحاديث الإحياء**، استخراج: أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحَدَّاد (1374 هـ - ؟) الناشر: دار العاصمة للنشر - الرياض، 1408 هـ - 1987 م، ط1.
6. أبو داود، **السنن** تحقيق: مُجَدَّ محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
7. الزرقاني، **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك** تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424 هـ - 2003 م، ط01.
8. أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411 هـ - 1990 م، ط1.
9. مالك، **الموطأ** صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: مُجَدَّ فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان عام النشر: 1406 هـ - 1985 م.
10. ابن ماجه، **السنن** تحقيق: مُجَدَّ فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي
11. مُجَدَّ عجّاج الخطيب، **السنة قبل التدوين**، أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان 1980 م، ط3.
12. مسلم، **الصحيح** المحقق: مُجَدَّ فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

• التفاسير المعتمدة:

1. إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورتي الأنبياء والحج، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث. القرارة. غرداية، 1997.
2. التواتي بن التواتي، الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين، تفسير سورة التوبة، دار الحكمة، الجزائر، 2016م، ط01.
3. أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ، ط3.
4. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ط1.

• المعاجم:

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.
2. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
3. أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.
4. علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث.
5. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
6. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
7. منير البعلبكي، المورد قاموس إنجليزي عربي، دون ناشر، دون طبعة.

• المصادر والمرجع

1. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، شرح حديث النزول، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1993، ط1.
2. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416 هـ/1995 م.
3. أحمد خيرى العمري، ليظمن عقل، عصير الكتب للنشر والتوزيع، مصر، 2019، ط1.

4. أحمد دعدوش، قوة الصورة كيف نقاومها وكيف نستثمرها، دار ناشري للنشر الإلكتروني ومنشورات السبيل، 2014، ط1.
5. إسماعيل بن مُحمَّد العجلوني الدمشقي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، الناشر: المكتبة العصرية تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداي، 1420هـ - 2000م، ط1.
6. محمد اطفيش بن يوسف اطفيش، الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد منشور ضمن كتاب كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب ترتيب: أبي الوليد سعود بن حميد بن خليفين المضيري، تحقيق: محمد علي الصليبي نشر: وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1985م-1986م.
7. محمد بن يوسف اطفيش، شرح أصول الدين، تحقيق مصطفى وينتن، ضمن متطلبات أطروحة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، 2007.
8. أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية، سنة 1978، ط 02 .
9. جابر ناصر بوحجام، إنتاج المعرفة في سياق حضاري متأزم، دار النشر: كتابك، الجزائر، 2021، ط1.
10. جاسم سلطان، النسق القرآني ومشروع الإنسان ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2018، ط1.
11. أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج 01/ ص 55
12. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دون تحقيق، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، دون طبعة.
13. أبو الحسين محمد ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
14. رشدي عليان وقحطان عبد الحميد الدوري، أصول الدين الإسلامي، مطابع بيروت الحديثة، بيروت، لبنان.
15. روجيه جارودي، الإسلام، ترجمة: وجيه أسعد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ANEP، الجزائر، 2001، ط2.
16. سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، مصر، دون طبعة.
17. الشاطبي، الاعتصام، تحقيق ودراسة: الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
18. أبو طاهر إسماعيل الجيطالي، قناطر الخيرات، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: سيد كسروي حسن وخلاف محمود عبد السميع، الطبعة الأولى 2001، ج 01/ ص 94
19. طه كوزي، أزمنا الحضارية العقد والمخرج قراءة فكرية على ضوء نموذج الرشد، دار النشر كتابك، الجزائر، 2015، ط1.
20. طه كوزي، صورة العصر، مؤسسة كتابك، الجزائر، 2019، ط2.
21. طه كوزي، القرآن نسخة من الإنسان، دار النشر: كتابك، 2017، ط 1.

22. عبد الجبار القاضي ، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، دون تاريخ نشر، دون طبعة، ص 268
23. عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1992م، ط2.
24. عبد العزيز الثميني، معالم الدين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1986م.
25. عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، 1977.
26. عبد الكريم بكار، تكوين المفكر، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2010، ط1.
27. عبد المجيد النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1992م، ط1.
28. عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، سلسلة حوارات، تحرير سوزان حربي، دمشق، سوريا، 2010، ط2.
29. عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سلسلة مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2000م، ط1.
30. عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2002، ط1.
31. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، سنة 1999، ط1.
32. عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، دون رقم طبعة، دون تحقيق.
33. علي آل محسن، مسائل خلافية حار فيها أهل السنة، دون ناشر، 2003م، ط4.
34. علي سامي النشار، عمار الطالبي، عقائد السلف للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1971.
35. عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، نيو بوك new book للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ط1.
36. أبو الفتح محمد البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م. 1415هـ، ط03 / ص 152
37. أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1968.
38. فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2012، ط2.
39. فرحات الجعبري، السبيل إلى وحدة الفرق الإسلامية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط1.

40. لؤي صافي، العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1996م، ط 01
41. مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2016، ط 14.
42. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2016، ط 14.
43. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2015، ط 10.
44. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، طبعة 2002
45. محمد بابا عمي ومصطفى وينتن، أصول الإيمان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2017، ط 1 / ص 11 - 12
46. محمد بابا عمي، تيه ورشاد من القابلية للاستعمار إلى القابلية للرشد، دار الفكر دمشق، سوريا، ودار كتابك، الجزائر، 2016، ط 1.
47. محمد بابا عمي، في حب كلام الله، دار النشر: كتابك، الجزائر، 2018، ط 1.
48. محمد بن إسماعيل الصنعاني، حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة، تحقيق وتخرّيج: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ، ط 1.
49. محمد بن المختار الشنقيطي، خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2018، ط 2.
50. محمد بن المختار الشنقيطي، الخلافات السياسية بين الصحابة بين قدسية المبادئ ومكانة الأشخاص، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ط 1.
51. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1982م، ط 08.
52. محمد سليم العوّا، المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ط 2.
53. أبو محمد عبد الله السالمي، مشارق أنوار العقول، تصحيح وتعليق: أحمد بن حمد الخليلي، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان.
54. محمد عمارة، مقالات الغلو الديني واللا ديني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2012م، ط 01.
55. محمد عياش الكبيسي، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، مطبعة الحسام، بغداد، ط 01.
56. محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق، 1997، ط 1.
57. نخبة من الأساتذة، مقرّر مادة الحياة الإيمانية للسنة أولى متوسط، بمدرسة الحياة، نشر: جمعية التراث - القرارة - غرداية - الجزائر، طبعة سنة 2017.
58. نخبة من الأساتذة، مقرّر مادة الحياة الإيمانية للسنة الثانية متوسط، بمدرسة الحياة، نشر: جمعية التراث - القرارة - غرداية - الجزائر، طبعة سنة 2017.
59. نخبة من الأساتذة، مقرّر مادة الحياة الإيمانية للسنة الثالثة متوسط، بمدرسة الحياة، نشر: جمعية التراث - القرارة - غرداية - الجزائر، طبعة سنة 2017.

60. نخبة من الأساتذة، مقرر مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة متوسط، بمدرسة الحياة، نشر: جمعية التراث - القرارة - غرداية - الجزائر، طبعة سنة 2017.

61. أبو نعيم أحمد الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة مصر، 1394هـ - 1974م.

• المقالات العلمية:

1. زهير بن عمر، أثر خبر الآحاد في العقيدة، مجلّة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 16، 2017م.
2. عبد الصمد بوزياد، حاجة الدرس العقدي إلى إعمال النظر المقاصدي، مجلة الإحياء، مجلد 20، العدد 26، سبتمبر 2020م.
3. عادلة علي ناجي السعدون، مباحث في طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليب تقويمها، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، العراق، العدد 203، 2012م.
4. عامر الحاني، قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، مجلة إسلامية المعرفة، سنة 16، العدد 63، 2011م.
5. مصطفى وينتن، إشكالية التحيز الداخلي في تدريس العلوم الإسلامية وأثره على التحصين الفكري والعقدي، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول حول دور العلوم الإسلامية في إرساء الهوية ومواجهة التحديات المعاصرة، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 04 - 05 ماي 2010م.
6. نسيمه درار، نورة رجاتي، تجديد الدرس العقدي وسؤال المقاصد، مجلة الشهاب، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد 09، العدد 01.

• الرسائل الجامعية:

1. مُجَدّ طبّاخ، الوحدة العقدية وأثرها في تماسك المجتمع الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص عقيدة إسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، السنة الجامعية 2021/2020

• المواقع الإلكترونية:

1. معلومات عن السيرة الذاتية للدكتور عبد الوهاب المسيري، موقع www.elmessiri.com
2. خميس بن راشد سعيد العدوي، قراءة في رواية الفرقة الناجية، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة مُجَدّ ﷺ، مملكة البحرين، 2007، الموقع: <https://tajdeed.org/wehda>.
3. حوار أُجري مع الدكتور مُجَدّ بابا عَمّي حرّزته جريدة البصائر، موقع الجريدة: <https://elbassair.dz/17043>
4. معلومات عن سيرة الدكتور مُجَدّ بابا عَمّي من موقع منتدى الجلفة: <https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=399592>
5. حساب معهد المناهج على الفايسبوك: https://web.facebook.com/Al.Manahidj.Institute/?_rdc=1&_rdr
6. من موقع مؤسسة وسام العالم الجزائري، <https://www.algerianscholaraward.org>

7. معلومات عن الدكتور مصطفى وينتن من محادثة هاتفية على تطبيق Whats App
8. معلومات عن المدرسة العلمية من موقع المدرسة، [./https://alilmiya.net/portal](https://alilmiya.net/portal)

● الفيديوهات

1. سلسلة البرنامج التأسيسي للدكتور جاسم سلطان على موقع اليوتيوب قناة رؤيا للفكر جميع الحلقات:
<https://youtube.com/playlist?list=PLzwteoVFfs5prL3BGd8I6j3lIIIs5tMlfcB>
2. كلمة الأستاذ بوزيد بومدين، برنامج أ ل م من تقديم الدكتور يحيى أبو زكريا على قناة الميادين، وعنوان الحلقة : هل فرق علم الكلام بين المسلمين: <https://www.youtube.com/watch?v=WOflEjbNpS0>
3. برنامج إعلامي فكري، بعنوان قراءة ثانية، يديره الدكتور علي السند على قناة العربي، استضافة البروفيسور الحاج أوحمة دواق، في حلقة بعنوان الفكر الوافد رابط فيديو الحلقة: <https://youtu.be/Ksn96Bm7rRw>
4. برنامج إعلامي فكري، بعنوان قراءة ثانية، يديره الدكتور علي السند على قناة العربي، حوار مع الدكتور محمد عياش الكبيسي في حلقة بعنوان: العقيدة الإسلامية كيف نفهمها، وهذا رابط الفيديو:
<https://youtu.be/sRX845G58wE>
5. كلام حسن فرحان المالكي عن رواية الفرقة الناجية: https://youtu.be/z_OkEXeOvq0
6. الأئمة الياباني.. براءة محلاة بالسلم https://www.youtube.com/watch?v=-3QJ_BdfIwM&t=331s
7. الفيديو الذي يشرح فيه عمل المشور الزجاجي، https://youtu.be/_OsOIKhh_2M
8. استضافة الدكتور طه كوزي في برنامج قراءات على القناة الوطنية
https://www.youtube.com/watch?v=V8FoTbpek_w&t=766s

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء.....	
شكر وعرفان	
مقدمة	ب
أهمية البحث:	ب
أسباب اختيار الموضوع:	ب
أهداف البحث:	ج
إشكالية البحث:	ج
الدراسات السابقة:	د
منهجية البحث:	هـ
خطة البحث:	و
الفصل الأول: مدخل تعريفي	
المبحث الأول: تعريف مفردات العنوان	2
المطلب الأول: تعريف الإيمان	2
الفرع الأول: التعريف اللغوي	2
الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي	3
المطلب الثاني: تعريف وحدة الأمة	4
الفرع الأول: التعريف اللغوي	4
الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي	4
المطلب الثالث: التركيب بين التعريفين	6

8	المبحث الثاني: ترجمة للمؤلفين
9	المطلب الأول: د. مُحَمَّد بَابَا عَمِّي
9	المطلب الثاني: د. مُصْطَفَى وَيْنَتَن
10	المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف:
10	المطلب الأول: الدراسة الشكلية للكتاب
10	المطلب الثاني: ما حول الكتاب
11	الفرع الأول: النسق المعرفي للكتاب:
11	أولاً: النموذج أو النموذج المعرفي:
12	ثانياً: الرشد:
12	ثالثاً: نموذج الرشد:
17	الفرع الثاني: الفكرة العامة للكتاب:
19	الفصل الثاني: منهجية تحقيق وحدة الأمة
19	المبحث الأول: توحيد الأمة من خلال توحيد أصول الإيمان
19	المطلب الأول: الفصل بين الأصول والفروع في العقيدة كمقاربة لتوحيد الأمة:
19	الفرع الأول: تحديد أصول الإيمان:
20	أولاً: عدم الاختلاف على الأصل:
21	ثانياً: التأصيل:
22	الفرع الثاني: العلاقة بين الأصول العقدية العامة والأصول المذهبية:
27	المطلب الثاني: علم الكلام ومعضلة المنهج:
27	الفرع الأول: إشكالات منهجية في العقيدة وعلم الكلام:
36	الفرع الثاني: مقاربات لمعالجة مشكلة المنهج في علم الكلام
37	أولاً: مالك بن نبي (وجهة العالم الإسلامي):
43	ثانياً: عبد الوهاب المسيري (اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود):
53	المبحث الثاني: حديث الفرقة الناجية

54	المطلب الأول: إشكالات في حديث الفرقة الناجية
60	المطلب الثاني: حلول مقترحة للخروج من هذه الإشكالات:
68	الفصل الثالث: الدرس العقدي ووحدة الأمة
70	المبحث الأول: أهمية الدرس العقدي في توحيد الأمة
71	المطلب الأول: ربانية المصدر وإلهيته
73	المطلب الثاني: وحدة الخلق باتجاه الخالق بمقتضى العبودية.
76	المطلب الثالث: شمولية تصور الوجود.
80	المبحث الثاني: شروط تحقيق وحدة الأمة من خلال الدرس العقدي
80	المطلب الأول: شروط مضمون ومحتوى المادة التعليمية.
82	الفرع الأول: مقرّر مادة الحياة الإيمانية لمدرسة الحياة (طور المتوسط):
85	الفرع الثاني: مقرّرات مقاييس تخصص العقيدة الإسلامية في الجامعة
86	المطلب الثاني: شروط من يتولّى تدريس هذا المحتوى.
88	الفرع الأول: شروط المدرّس للمبتدئين والعوام:
89	أولاً: الإخلاص لله والإيمان بما يدعو إليه
89	ثانياً: شخصية الأستاذ
90	ثالثاً: الحكمة في الأسلوب:
91	الفرع الثاني: شروط المدرّس للمتخصصين.
91	أولاً: الوعي بالواقع العقدي والفكري:
92	ثانياً: نبذ التحيز والتعصب:
93	ثالثاً: التزام توثيق المعلومة من مصادرها:
96	خاتمة

98	ملحق الصور
99	مقرر مادة الحياة الإيمانية لطور المتوسط بمدرسة الحياة بالقرارة - غرداية
100	نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الأولى متوسط: آثار صفات الله على سلوك المسلم
103	نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة متوسط: أسس علاقتي بغيري
107	نموذج من درس مادة الحياة الإيمانية للسنة الرابعة متوسط: لا أتعصب ولا أستهزئ بغيري
109	الفهارس الفنية.....
110	فهرس الآيات.....
116	فهرس الأحاديث
117	فهرس الأعلام المترجم لهم
118	فهرس المصادر والمراجع
126	فهرس المحتويات
131	ملخص البحث.....

ملخص البحث

ملخص البحث

العلاقة بين الإيمان ووحدة الأمة كتاب "أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة" نموذجا

هذه الدراسة هي عبارة عن تحليل لكتاب: (أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة) من تأليف الأستاذين الدكتور محمد بابا عبي والدكتور مصطفى وينتن، وقد سعت هذه الدراسة إلى عرض المقاربة التي أتى بها الكتاب لتوحيد المسلمين بالتمييز بين أصول المذهب وأصول الدين، أو بين الأصول العقيدية والفروع العقيدية، وقد قسّمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول كان مدخلا تمهيديا يُعنى ببيان مفردات عنوان البحث لغة واصطلاحاً، افراداً ثم تركيباً، وكذلك ترجمة لمؤلفي الكتاب، وتناولت فيه تعريفاً بالنسق المعرفي الذي وُلِدَ الكتاب من رحمه (نموذج الرشد). أمّا الفصل الثاني، فقد عرضت مقارنة الكتاب في الفصل بين الأصول العقيدية والأصول المذهبية وتناولتها بالتحليل والنقد، وأهم ما خلصت إليه في هذه النقطة أنّ الوحدة لا تعني إلغاء المذاهب، كذلك مثل هذه المقاربات ستكون دائماً معرضة للنقد والتطوير والمعالجة، ولا يمكن أن تأتي بمقاربة أو رؤية أو نموذج شامل ونهائي وقاطع، ذلك لأنّ العملية هي مقارنة المطلق بأدوات النسبي، والنموذج هو نحت بشري، فبالتالي سيكون خاضعاً دوماً للمساءلة والنقد والدحض، وتناولت فيه كذلك حديث الفرقة الناجية بالتحليل والنقد، وكيفية الاستفادة منه لقراءة تراث الأمة بالمنظور السُّنني، والاستفادة من هذه القراءات لرسم معالم الطريق في المستقبل بما يخدم الأفق الإسلامي قبل المذهبي. وأمّا في الفصل الأخير فقد تناولت قضية الدرس العقدي وكيف يمكن أن يساهم في وحدة الأمة، وقد تناولته من جانبين من حيث المحتوى والمضمون ومن حيث من يتولّى تدريس هذا المحتوى مفرّقاً فيه بين المبتدئين والمتخصّصين.

Research Summary

The relationship between faith and the unity of the nation. The book “THE FUNDAMENTALS OF FAITH, Monotheism and the Nation's Unity” is an example

This study is an analysis of the book: (THE FUNDAMENTALS OF FAITH - Monotheism and the Nation's Unity) (in arabic: Uṣul al-Iman - Al-Tawhid wa-Wiḥdat al-Ummah) by professors Dr. Mustafa Wintin and Dr. Muhammad Bābā'ammi, and this study sought to present the approach that the book came up with to unite Muslims by distinguishing between the fundamentals of the creed (Aqidah) and the fundamentals of religion, or between creedal principles, and creedal branches. And this research was divided into three chapters: The first chapter was an introduction concerned with explaining the research vocabulary linguistically and terminologically, literally and then syntactically, as well as biographies of the authors. I've also dealt with a definition of the cognitive system from which the book emerged (ROCHD PARADIGM). As for the second chapter, I presented the approach of the book in separating the creedal principles and schools (Madhāhib) principals and addressed it with analysis and criticism, and the most important thing I concluded on this point is that unity does not mean the abolition of schools, as well as such approaches will always be subject to criticism, development and treatment, and we cannot come up with a comprehensive, final and conclusive approach, vision or model, because this process isis approaching the absolute with relative tools, and the model is human-made, so it will always be questioned and exposed to criticism and refutation. It also addressed the Hadith of The Saved Sect with criticism and analysis, and how to benefit from it to read the nation's heritage from the perspective of the laws of history and sociology and take advantage of these readings to chart the way in The future will serve the Islamic horizon not the schools horizons. As for the last chapter, I dealt with the issue of the creed lesson and how it can contribute to the unity of the islamic nation. I addressed it from two aspects, in terms of content, and

in terms of who is responsible for teaching this content, differentiating between beginners and specialists